ومضات
من وراء الغيوم

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

دار المحجة البيضاء

ومضات من وراء الغيوم

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

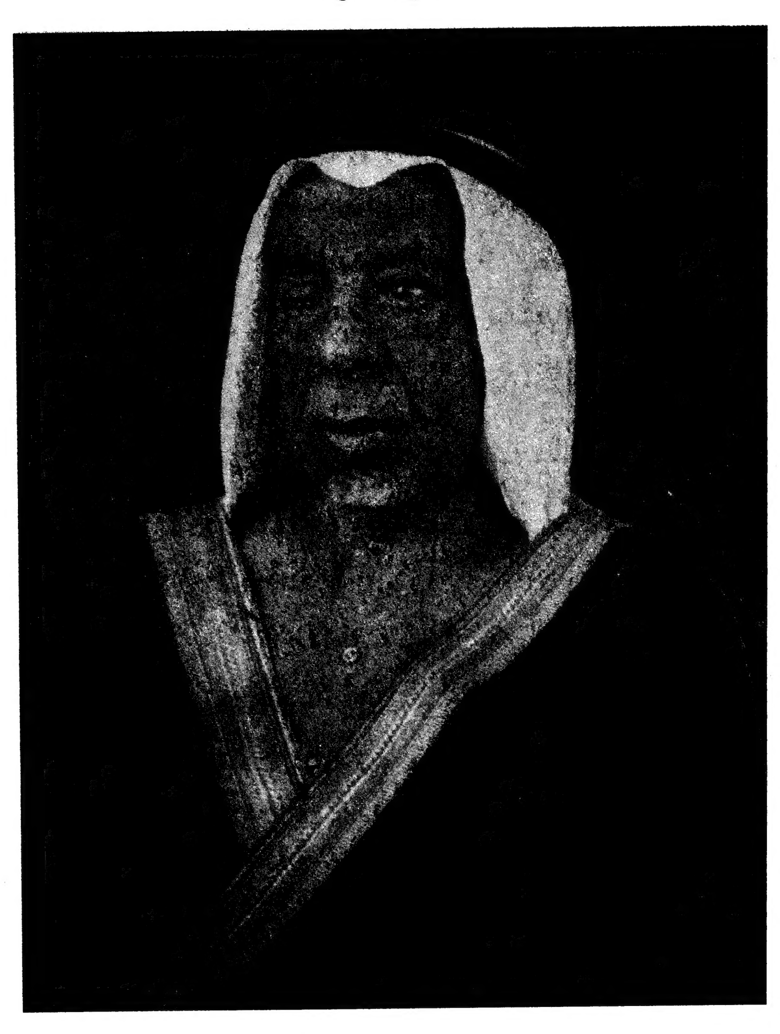
ومضات من وراء الغيوم

محمّد سعيد الشّيخ علي الخنيزي

دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحيم

صورة المؤلف



إهداء

إلى أولئك الذين حرمتهم الحياة وعاشوا على نضوب جدب ولهيب حرمان.

إلى أولئك الذين غرّتهم الحياة فغرقوا في مُتعها

إلى أولئك التجار الذين لا يعطفون على البؤساء

إلى هؤلاء وأولئك أرفع هذا الحرف.

المؤلف

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

١٤٣٢/٣/٢٣ هـ

٢٠١١/٣/٠٩ م

بواعث

إنَّ كتابتي لهذه القصة لها بواعثٌ، لعل أحد البواعث، الخاطرة التي تلاحقني وتصوّر لي واقعنا البشري، فواقعنا البشري لا يختص بجيل دون جيل، أو قرن دون قرن، أو بقارة دون أخرى، فإنّ أحداث هذه البشرية وويلاتها وما يتضبب في سمائها من نعيم أو شقاء أو من بسمة أو دمعة، كل هذه المفارقات تنتظم في هذا الكوكب الذي نعيش عليه المسمى بالأرض، فهذه القصة لا تعالج قارة دون أخرى، أو شريحة من البشر دون أخرى، إنما هي تشير للمجتمع البشري ككل دون تفريق فلا تطبق على حياة بشر دون آخر أو قارة دون أخرى، وتعالج هذه المشاكل التي تنجم في حياة البشر منذ فجر الإنسان الأول آدم أبي البشر الذي خلقه الله وأنزله على هذا الكوكب، فقصة قابيل وهابيل منذ فجر الحياة لا تزال ترعف بدمها ومنها تفجر كل شرٍّ على هذه البسيطة.

ولا أنسى إلحاح ولدي الدكتور ـ وديع ـ وطلبه مني أن أضع قصة حسب رؤيتي بعد أن قرأ كتابي أشباح في الظلام. الذي

يتضمن ستة وعشرين شبحاً على شاكلة قصص مقتضبة، فلهذه البواعث استجبت ووضعت هذه القصة.

وأسأل الله العون والتوفيق،،

المؤلف

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

١٤٣٢/٣/٢٣ هـ
٠٩/٣/ ٢٠١١ م

المقدمة

إنّ للقصة أو الرواية دوراً في الحياة الاجتماعية، وتعظم القصة أو الرواية عندما تعالجان ظاهرة اجتماعية من ظواهر هذا المجتمع الذي لا يزال يتخلف عن مبادئه السامية، ولا يبصرها إلاّ من خلال نظراته الماديّة التي يعشقها هذا المجتمع، ويبذل في سبيلها كل غالٍ ونفيس، ويفضلها على حياته المعنوية.

فهذا المجتمع هو عبدٌ للمادة يسير معها أينما وجدت، فيدوس على أخلاقه ليتحصل على دينار يتمتع به قليلاً، ثم يموت ذلك الدينار أو لعله لا يستطيع أن يتمتع بذلك الحطام، ولو للحظة حيث إنه يغادر الحياة وعينه مفتوحة فيها لهفة وشوق وحسرة لذلك الحطام، ولكنه يغمض جفنه رغماً على أنفه ولا خيار له في ذلك المصير.

لعلّي خرجت بك يا قارئي عن الهدف الذي رسمت له هذه الأحرف، فالسانحة تلاحقني وتهتف بي في كل لحظة، وتناديني وتطلب مني أن أضع رواية تتحدث عن أوضاع مجتمعنا البشري ككل وأخص أنفسنا العرب المسلمين، ولأننا بصفتنا عرباً نشترك في الدين

وفي الـدم، وفي الـوطن وفي أكثـر عـاداتنا، وأوضاعـنا الـشعبيـة، ولكـن ويـا للأسـف.! إنّ هـذه الـروابط المقدسـة لم تكـن جامعـة لنـا كإطـار يضم شملنـا ويـربط فرقتنـا، كمـا يضـم الإطـار الـصورة ويحفظهـا ولـو حفظاً مؤقتاً، فمجتمعنا لا يزال ذيـلاً للمجتمـع الأوروبي، ونحـن أغنـى منـه في المبـادئ الـسامية والمعـاني الروحيـة، فـالثروة الـتي لـيس كمثلـها ثـروة، وكنز لا يعادلـه كنز، فعنـدنا الإسـلام والقـرآن وتعـاليم الرسـول وأهـل بيتـه فهـم أضـواء، لـو طبقنـا أقـوالهم عمليـاً لغزونـا الفـضاء.. فضلاً عن الأرض، ولم يسبقنا علمـاء الفضاء ومنـهم أول مــن مشى في الفضاء الخارجي الروسي ـ جاجارين ـ فلا نـزال نعيش في أنانيـة وجهل، كـمـا نملك ثروة ضخمة لعل الغرب لا يملك مثلها وهـو الـذهب الأسود والمعادن الطبيعية، فالغرب مدان لنـا، ولـو رجعنـا القهقـرى إلـى فجـر التـاريخ الإسـلامي، وتعلقنـا ببـصيص مـن شعاعه لأصبـح الغـرب مداناً لنا وأسيراً لنـا أسـر مـديون لـدائن نتحكم فيـه كيـف نـشاء، ومـا أصبحنا أُسراء لديه يتحكم فينا كيف ما شاء.

لـذلك أحببـت أن أضـع روايـة تـصور هـذه الظـاهرة، ولعلـي أعثـر على وصفة طبية يتناول منها هذا المجتمع فتكون علاجاً له.

وأضـع هـذه القـصة بأسـلوب إنـشائي أدبي تحـاوري غـير معقـد حتى تستطيع الطبقات الاجتماعية درس هذه القصة، والاستفادة من قراءتها.

وأسأل الله التوفيق لجميع هذا المجتمع العربي والبشري ككل.

وأسأل من الله المدد والعون.

تمهيد

إنَّ هذه القصة التي تُمثل على صعيد البلاد العربية والمجتمع البشري بدون تحديد فهي مجتمع واحد وأسرة يضمها منـزل واحد ويتألف أبطالها من :-

سعاد (عاملة منـزل) ـ ابنتها رباب ـ حمدان (ويعمل بحاراً) وفهد ابنه ـ الشيخ ياسين (عمدة القرية) ـ سلمى (زوجة عمدة القرية) وابنتهما خديجة ـ عبد المعين (تاجر) ـ درَّة (زوجة عبد المعين) ـ أحمد (عامل) وأبناؤه ـ يوسف (ويعمل مهرجاً) ـ سليمان (صحفي) صفية زوجة سليمان.

من شخصيات القصة:

ـ زيد ـ **محمد** ـ رمزي

إلى جانب بعض الأشخاص مما يستوجب وجودهم مع أبطال القصة.

هؤلاء هم أبطال القصة.

مدخل

كان لعبد المعين في ميدان التجارة شوط متألق فهو يورِّد المواد الغذائية، ويتحكم في أسعارها حتى جمع ثروة طائلة، ومع هذه الثروة الطائلة كان بخيلاً يحرص على الدنيا فلا تجود كفّه بمساعدة في مشروع خيري، أو تعطف على بائس عريان.

أما حمدان فعنده زوجة وسبعة أطفال يعيشون في كوخٍ في سغب وتحت أمواج القر وأشعة الشمس الملتهبة صيفاً.

أما الشيخ ياسين (عمدة القرية) فكان يتحكم في قريته ويجمع ثروة عن طريق استخدام منصبه.

أما سلمى زوجة عمدة القرية الشيخ ياسين فهي تناقضه في أفكاره وحياته غير الأخلاقية.

أما سعاد فهي عاملة في أحد المنازل تكدح منذ الفجر الباكر حتى المساء لتربي ابنتها الصغيرة رباب البالغة خمس سنوات.

أما أحمد فكان يعمل لدى أحد التجار عاملاً بسيطاً لينقذ أطفاله من السغب.

أما يوسف فكان مهرجاً يضحك الأغنياء وينتقد المجتمع في صورة هزلية.

أما سليمان فكان صحفياً يكتب عن ظاهرة من ظواهر المجتمع ويفتح صدر صحيفته بمقالات الأدباء والعلماء.

أما شخصيات القصة فهم من أبطالها وقد يكون لهم دور ويمرون بحياة القصة.

مبدأ

حمدان : وكان يعمل في الأعمال البحرية (صياداً) يخرج من منزله في الصباح الباكر من كل يوم ليصطاد ويرتزق مما يرزقه الله ويذهب إلى الأسواق لبيعها ويعود إلى بيته بما قسمه الله له.

الشيخ ياسين : عمدة القرية، فهو متحكم في أهل القرية، وينفذ رغباته ويجمع منهم الإتاوات، ويرهقهم في خدمته ويسخرهم لبناء بيوته وكل ما يحتاجه، ولا يستطيع أي شخص أن يتخلف عن أوامره، فمن يتخلف عن أوامره فأقل عقوبة عليه الغرامة أو السجن له.

سلمى : زوجته كانت تعارضه وتناقضه في كل تصرفاته فهما على خلاف تام في وجهات النظر.

فالشيخ ياسين يريد أن يتسلط على أهل قريته، ومن الصدف إذا تمرّد عليه شاب ولم يطع أوامره فإن مصيره السجن ولا يطلق سراحه إلا بغرامة، فجاءت سلمى زوجته تعارضه في إجراءاته فنهرها وقال: ما للنساء والتدخل في شؤون الرجال إنما أنت امرأة والمرأة لا تزيد على حذاء ألبسه ثم أنزعه.

سعاد : وكانت عاملة في أحد المنازل تكدح منذ الصباح الباكر حتى المساء فتقبض أجرها في آخر كل شهر لتصرفه على ابنتها رباب التي هي وحيدتها إذ لا زوج لها ولا أخ، فهي كالسلوة لها، وكالزهرة التي تستاف منها أمل الحياة وأنوار المستقبل.

أحمد : وكان عاملاً في إحدى الحوانيت عند تاجر يسمى عبد المعين من أكبر تجار المنطقة.

سليمان : وكان صحفياً موفقاً يكتب في إحدى الصحف الكبرى.

يوسف : وكان يعمل مهرجاً فيحضر المجتمعات ويضحك ذلك المجتمع وطوراً يبكيه.

وهناك شخصيات من أبطال القصة وتعايش واقعها وهم :

زيد و **محمد** و رمزي

وبعضٌ من الشخصيات لم تذكر لهم أسماء.

الفصل الأول

حمدان : وكان صياداً، في كل يوم قبل أن تفتح الشمس جفنها في هذا الكون الممتلئ بالمآسي والأفراح والبسمة والدمعة والغبطة والحسرة يحمل شبكته على ظهره ويذهب إلى البحر فيصطاد ما يقسمه الله له مما تحمله تلك الشبكة فيعود به إلى سوق الأسماك فيبيعه على الذين يأخذون من البحارة جملة ثم يبيعونها للمواطنين بالكيلو ليربحوا فيه وهكذا دواليك.

استمر حمدان على هذه المنهجية فكانت زوجته وأبناؤه يرتقبونه بلهفة وشوق ويفتحون جوارحهم لاستقباله، وفي يوم من الأيام نصب شبكته فاصطاد سمكة من السمك الضخم اللذيذ اللحم يسمى هاموراً، وجاء بها ليبيعها في أسواق الأسماك كما هي استمرارية الصيادين على هذه الطريقة المنهجية فابتاعها منه شخص وعندما قطعّتها زوجته وجدت فيها خاتماً سحريّاً فطار خبره إلى بعض الرؤساء فطلبوا منه إحضار هذا الخاتم ليروه وعندما وقعت عين أحد الرؤساء على هذا الخاتم صادر منه الخاتم بدون ثمن.

فكان الشخص المشتري هذه السمكة يتظلم، وهو يرد عليه أنك ظلمت البحار ولم تعوضه لذلك سُلِّطتُ عليك فأخذته منك لأنتصف للبَّحار الصياد، فهذه الظاهرة تمثل ناحية من نواحي عدم السير على مناهج القانون الشرعي أو الطبيعي أو الوضعي، كل ذلك عمل يخالف هذه القوانين ولا يحسب للعاقبة أية حساب ولكنَّ ذلك الرئيس الذي ظلم الشخص الذي ابتاع السمكة لم يمهله القضاء فأصيب بمرض عضال أقعده في بيته وهذه عبرة لمن يعتبر.

عبد المعين: التاجر الذي يُعد من أكبر تجار المنطقة كان يورِّد الأرز والمواد الغذائية كالسكر والحليب والشاي، وما هو ضروري للإنسان الذي لا يستغني عن الاحتياج له ولا يستطيع أن يعيش بدون استعماله لأنه غذاء المعدة، فافتعل التاجر أزمة اقتصادية ليرفع الأسعار ويحتكر المواد الغذائية ويخزنها فلا يبيعها فحدثت مجاعة وضجة راح ضحيتها المساكين والفقراء ولم يرعو بل لجَّ في دوره وشوطه المادي ليجمع حطاماً كبيراً من دماء الفقراء وأنَّات اليتامى ودموع الثواكل حتى يطووا ليلهم على سغب فأثَّرَت تلك الأزمة في الجياع فصرعهم الموت أو بالأحرى الجوع لينفضوا أكفهم من هذه الحياة ومن صراعاتها وآلامها التي تقسو على الفقير، وفي الحقيقة إنّ القسوة تأتي من أبناء الحياة لا من الحياة لأنّ أكثر الأغنياء لم تكن في قلوبهم رحمة أو شفقة أو يتعظون بالأوامر المثلى التي خطها كتاب الله وسنة نبيه ما عدا ثلة خيرة قليلة أو لعلهم رجعوا إلى بعض القوانين الوضعية التي لا تنصف الإنسان ولا تخفف من جشع

التجار وأطماعهم، ولكنّ المادي لا يرى غير المادة ويستعمل في سبيلها للوصول إلى غايته كل ما يستطيعه من وسائل بشتى الألوان والطرق ولو بدفع رشاوى وهذا مما يفسد المجتمع ويفككه ويقضي عليه.

أحمد: كان يعمل عند التاجر الكبير عبد المعين عندما فتح جفنه وهو لا يرى إلاّ سيده عبد المعين وعندما مرَّت هذه الأزمة بإخوانه العمال وشاهدهم كيف يتضورون من السغب.

جاءه عبد المعين في إحدى الأمسيات فنظر إليه وقرأ على أسرار وجهه سطور حزن فقال له عبد المعين: يا أحمد ماذا أصابك إنني أحسُّ أنك تغط في ذهول وعندما نطلب منك تنفيذ أمر تتباطأ فماذا وراءك أخبرني هل أنت كسلان عن العمل أم لا تريد أن تعمل؟

أحمد: ارتبك وقال بصوت ضعيف: أنا يا سيدي رهن خدمتك وربيب نعمتك فأمرني بماذا ترى.

فلما رأى التاجر ضعف خادمه وخنوعه هدده بالطرد والضرب والحرمان من حقوقه ورواتبه، فـظل أحمد مكانه كأنه خشبة مسنّدة لا تشعر ولا تحس بمن حولها حتى غرقَ في ألم عميق لا يحس آلامه ولا ما يدور حوله.

وكان التاجر يحتسي الشاي والقهوة العربية فنادى بعض خدمه وعبيده فأمرهم بضربه وطرده وحرمانه من حقوقه وراتبه، فما شعر أحمد إلا والعصي تنهال عليه ضرباً ففزع وقال: ما ذنبي إنني ضعيف لا أملك أمام قِوة هذا التاجر حولاً ولا قوة، ولكني أشكوه

لخالق السماوات والأرض، فقذف به الخدم إلى الطريق وظل مغمًى عليه لا يعي ولا يحس.

وكان أهله يرتقبون عودته ليعود لهم بأقراص يسدون بها جوعتهم، ولكنهم لم يروه طوال تلك الليلة وحتى الصباح جاءهم من يخبرهم عن رب بيتهم وشرح لهم قصته، ففزعوا له ونقلوه إلى إحدى المصحات لتلقي العلاج، فبعد أن نُوِّم بالمستشفى أياماً طوال خرج إلى بيته وهو يشكو رب السماء فكانت شكواه لربٍّ عادل لا يضيع مثقال ذرة.

سعاد: العاملة بإحدى المنازل كانت تكدح وتكد جسمها لتعيش هي وابنتها ــ رباب ــ من عرق جبينها فإنّ العامل والفلاح هما كيان الحياة، فسعاد لا يوقفها عن عملها القرّ أو الحر أو المطر فهي تهبُّ من نومها منذ الصباح الباكر وتقدم لابنتها رباب وجبة الإفطار، ثم تهيئ لها ملابسها فتلبسها وتحمل معها حقيبتها حتى توصلها إلى روضة الأطفال، ثم تذهب إلى عملها الشاق فهي تعمل تحت رحمة ربة بيت متغطرسة لا ترحم العاملات لديها ولا تتكلم مع خادمتها إلا بفظاظة وتعاملها بكل قسوة، ومن الصدف المشؤومة أن وقع من يد سعاد طبق بلوري فتهشم فجاءت ربة البيت وتدعى ــ سميحة ــ فصفعتها على وجهها وقالت: سأدفعك ثمن هذا الطبق وأقطعه من أجرك.

فبكت سعاد وتضرعت لربة البيت في كلمات رقيقة وخضوع

ذليل: ارحميني يا سيدتي فإنّ لديّ بنت تحتاج لمصروف أكل ولباس ورسوم تعليم فماذا أصنع؟ اجعليه صدقة عن أبنائك حتى يرحمك الله يوم الفزع الأكبر ويضاعف لك في الدنيا بدله خير ، إلا أن ربة البيت ظلت مستشاطة في غيظها ولم تتراجع حتى أَلِفَ سيدها عبدالجبار وشاهد ذلك المنظر الذليل الكئيب فحانت منه رقّة وكانت سعاد تتوسل وتبكي.

عبد الجبار: قال لزوجته أنا أدفع ثمن هذا الطبق.

سميحة: تشاجرت معه في كلام طويل ترفض ما عرضه زوجها عبد الجبار وتصرُّ على طردها.

سليمان: كان محرراً لإحدى الصحف التي تصدر في كل يوم وكانت صحيفته من الصحف السيارة التي توزع بكثرة وتنتشر بين أيدي القراء فيعيش منها وفي إحدى المقالات من مقالاته التي تنشر، وفي إحدى افتتاحياته نقد الحياة السياسية والاجتماعية فكان لها صدى في العالم العربي فأُوقفت الصحيفة وأُدخل السجن.

يوسف: وكان مهرجاً يقوم بزورات للأغنياء وللمجتمعات ليضحكهم ويخفف من آلامهم حتى يقوم بأدوار كأدوار البهلوان.

فكان الأغنياء يسخرون منه والفقراء يعطفون عليه وحتى بلغ دوره عند بعض الأغنياء، عندما أضحكه عرض عليه الغني مشروعاً بهلوانياً يعطيه ديناراً شريطة أن يكتفه ويضعه وراء الشباك ويربطه بحبل وهو يقوم بدور مضحك، فوافق على ذلك لحبّه للدينار وعرَّض

حياته للموتِ فلو انقطع به الحبل لسقط من الطابق الثالث من القصر وتكسرت عظامه وتحول رميماً، إلاّ أن هذه المغامرة عادت عليه بالخير فنجا وأخذ الدينار وزادهم في دور البهلوانية، والضحك حتى تركهم وهم لا يفيقون من الضحك، وترك مجلسهم وهم على تلك الحالة ونجا بنفسه. وهذه الشريحة من البشر لا تؤمن بفكر فتقضي وقتها في مطالعة كتاب أو بتلفاز أو مذياع تزجي وقتها في الإصغاء إلى المذياع أو المشاهدة للتلفاز لأن عقلها الحجري لا يؤمن بهذه الأشياء الجديدة المتطورة معجزة العصر فكأنها لا تعيش في القرن العشرين أو الواحد والعشرين كأن هذه الشريحة تعيش في عصر الإنسان الحجري.

وكان لأبطال الشخصيات دور في هذه القصة حيث إنّ زيداً كان نماماً وفتاناً حيث يقوم بأدوار بين الأخ وأخيه، وبين الصديق وصديقه، والوالد وولده، والزوج وزوجته، فيغتنم الفرص ولا سيما إذا غاب الزوج عن زوجته لسفر ما يحاول عن طريق الهاتف هدم العلاقة الزوجية والقضاء عليها ولربما ينجح في كثير من هذه القضايا لأنّ المفتن يتلبس بالشيطان أعوذ بالله منه، والشيطان يسري في دم الإنسان هكذا يقضي أيامه ولياليه في هذا الدور الوضيع، فيفرق بين العائلات المجتمعة شملها إلى بدد وأيدي سبأ.

أما محمد ورمزي فكانا على خلاف منهجية زيد، وكانت تدور بينهما مناظرة في ظواهر المجتمع وحوار طويل عندما تجمعهم الجلسة في إحدى النوادي التي يرتادانها ومن تحاورهما :

رمـزي: أرى أنَّ المجتمـع البـشري لم يخلـص مـن الـشوائب الجاهلية وأنشودته، وغايته المادة التي يعزف عليها في الحياة، فهو دائماً يسعى إلى الطرق المادية ولا يقدر المعنويات والروحيات ولا يرى الشخص من حيث قيمته الذاتية كعالم أو مفكر أو أديب أو شاعر، إنما ينظر هذا المجتمع لمن قال.. لا إلى ما قيل، فهذا المجتمع يعبد الشخصيات وبعبارة أصح يعبد المال ولا يطيع خالقه ويبتعد عنه كل البعد.

محمد: يناقشه في رؤياه وأفكاره ويخالفه: لا يا رمزي إنّ المجتمع فيه الإنسانية المثالية وفيه الجاهلية الحيوانية، وهما متناقضتان فتش عن طيات هذا المجتمع واحمل معك مصباحاً لتبصر في طريقك إنساناً ناطقاً... وإنساناً آخر هو أشبه شيء بالحيوان الناهق وإن كان يحمل ذات النطقية.

ونعود لعمدة القرية الشيخ ياسين فهو فظ غليظ يتحكم في أهل قريته كيف شاء وهم لأوامره مطيعون، ولكنها الطاعة التي تنبع من الخوف والإرهاب لا من الصفاء والحب، فهو عندهم أثقل من ظلام دامس ولكنه لا يحب أن تكون له شعبية وحب وعرش في القلوب يتربع عليه فقصته مع الشاب الذي تمرد عليه فألقاه في السجن ولم يطلقه إلا بالغرامة ولم يراع فقره ولم يخش ربه الذي هو أقوى منه لأنه القوي المطلق وهو الضعيف المطلق، ولكنه استمر في طغيانه وتحكمه في قريته فجمع ثروة طائلة وغَدا يعمر له قصوراً وأراضٍ زراعية تمتد مساحتها طولاً وعرضاً يُسخِّر فيها أهل القرية

في حـرث الأراضـي وبنـاء القـصور بـدون أجـرة ولـه الـشكر علـيهم والفـضل إذا عملـوا في أراضـيه أو قـصوره، ومـن الـصدف أن وقـع مهندس زراعي اسمه ـ فضيل ـ في خطأ في تخطيط أحد أراضيه الزراعية فكانت الغضبة منه واتهمه أنه متعمد.

فضيل: تضرع إليه وقال إني لم أكن متعمداً وأنا بشر والبشر يقع في الخطأ والغلط فأطلب منك العفو والسماح، وسوف نحاول إصلاح هذا الخطأ قبل أن نحرث ونجري الماء.

الشيخ ياسين: رفض هذا العذر وأصر على موقفه الطغياني.

سلمى: جاءت زوجته لتقنعه وتعدله عن موقفه المعوَّج وترشده إلى الطريق المستقيم.

الشيخ ياسين: نهرها وركلها برجله، وقال: سأؤدبه وألقي به في السجن يريد أن يفسد مشروعي الزراعي ولما اكتشفته تحايل وأراد التنصل عن تعمده.

فضيل: قال إنما أنا بشر والبشر يغلط.

الشيخ ياسين: هذا كلام يريد أن يدفع به لينجو من غضبي عليه فزج به في السجن ولم يبال بخدمة ذلك المهندس وجهده الذي أنفقه له في سبيل هذا التخطيط بدون أجر أو ثمن.

سلمى: وهنا وثبت زوجته وقالت له: إنني لا أطيق معك الحياة لأنك لست زوجاً إنما أنت تشبه الوحوش الضارية.

الشيخ ياسين: غضب عليها وقال: من يستطيع أن يخلصك مني وركلها فوقعت على الأرض مغمًى عليها في غيبوبة، وتركها وذهب إلى أعماله.

فحار الخدم هل يجرؤون على نقلها إلى المستشفى فقام شخص منهم عنده غَيرة وجرأة ولا يفكر في العواقب فنقلها للمستشفى لعلاجها.

* * *

الفصل الثاني

وعندما علم حمدان بقصة السمكة وحكاية الخاتم وما جرى للذي ابتاعها منه استغرب من هذه القصة وقال: قد نجوت من هذا الخطر الذي حرمني من المال ولكن نجاني لأبقى ظلاً لهؤلاء الصغار وذهب يتفقد الذي ابتاعها منه ووجده في أحد المصحات يداوى من جراحاته وهو يئنُّ من ألم تلك الجراح الفاغرة وعندما حيّاه استغرب ذلك السقيم واستفسر عن اسمه وشخصيته وحكى له قصة السمكة وبيعها عليه.

عبد السلام: تنهد وقال: أواه يا ليتني لم أبتعها منك وهل أنا ظلمتك وبخستك الثمن؟

حمدان: رد عليه كل ذلك لم يكن وإنما هو رزق ساقه لك الرزاق الذي يرزق العباد من غير حساب وقد ظلمك الذي سطا عليك بنفوذه وقوته.

عبد السلام: أجابه لقد انتقم الله منه عاجلاً فأصيب بمرض خبيث رماه في المصح على السرير الأبيض وأنساه لذاته ومتعته

وسلطته التي يتسلط بها على الفقراء والمساكين ويصادر أموال من يشاء ويترك لمن يشاء، فأصبح ذا ثروة طائلة لا تُعد قصوره ولا زراعته فهي تمتد بُعد البصر بل يرجع البصر عن سبرها وقطعها كل ذلك من عرق الفقراء ومن دم المساكين الذين يكدحون في أعماله بدون ثمن أو أجر زهيد لا يقيم أوَدَهم فودّعه وتمنى له الشفاء العاجل.

سعاد: بقيت منجدلة على الأرض وهي تبكي وسيدتها تصر على دفع قيمة الطبق أو تعويضها بطبق يماثله وهي تتوسل وتقول: من أين لي الثمن أو التعويض عندما أؤدي عملي في منزلكم ويحين قبض أجور الشهر سأبتاع لكم طبقاً من ذلك الأجر أو تبتاعوه أنتم وتخصمونه عليَّ من أجري.

سميحة: لكنَّ سيدتها تصر وتقول: من يضمن بقاءك إلى وقت دفع راتبك؟ فإننا في أول الشهر لعلكِ تموتين أو تعجزين عن العمل أو تهربين من خدمتنا.

عبد الجبار: نهرها وقال: ما هذا اليأس إنك تيأسين من رحمة الله.

سميحة : أجابته: إنّ العاملة هي تشتغل في المنزل وشأنها شأني وهي تتلقى الأوامر والتوجيهات في خدمة المنزل وتلميع الصور والتحف وما يتعلق بالمنزل تصدر مني لا منك وهذا يدل على شيء بعيد إنك تطمع في الزواج منها لأن موقفك موقف غريب.

عبد الجبار: رد عليها: أنُزعت الرحمة من قلبك؟ أليست هذه عاملة فقيرة وقع منها الطبق بدون اختيارها ولو كان الكسر متعمداً منها لما كان هذا موقفك؟ أليس العطف على المساكين والفقراء هي قضية إنسانية قبل أن تكون أوامر إسلامية ماذا أصنع معكِ؟

سميحة: استشاطت غضباً، وقالت: سأترك لك المنزل ولهذه العاملة غير الشريفة، واعمل ما شئت وخرجت من المنزل لا تلوي على شيء.

عبد المعين: ظل التاجر الجشع في استمرارية، وفي جمع المال، ولا تندِّي كفُّه بقرش على الفقير أو بمساهمة في مشروع خيري وكلما جاءه داعية بمشروع خيري أو لجمعية تعطف على الفقراء تشاغل عنهم بإحدى الصحف وتركهم ولم ينبس ببنت شفة، أو يرد عليهم بسلب أو إيجاب، إنما يحتقرهم ويقهقه في قلبه مساكين هؤلاء يظنون أنّ الدينار يتحصله المرء ببساطة ألم يعلموا أني كافحت في جمع هذا المال بجهودي وتخطيطي ولولا حكمتي وحرصي على هذه المنهجية التي أسير عليها ما جمعت هذه الثروة الطائلة ولم أكن بهذه الشخصية يهتف باسمي الشخصيات والرؤساء والتجار كلٌّ يطلب رضائي ويحفّون بي ويطلبون ودي، وأنا لا أقيم لهم وزناً.

إنّ هؤلاء البشر يعبدون من كان ثرياً، وحتى لو لم يساهم في مشاريعهم، ولم يشاركهم بشيء من المادة في ما يذهبون له من طرق خيرية.

هكذا هم البشر لقد قرأتُهم قراءة عميقة ودرستهم درساً دقيقاً فهم يرفعون الغني ويضعون الفقير.. مسكين الفقير لا نقيم له وزناً إننا نهرب عنه من مسيرة أمتار لأنّ ريحه المنتنة وثيابه البالية المتشققة نتقزز منها وننفر منه ونطرده هكذا يعامل الأغنياء الفقراء، وكان سادراً في تفكيره وتحليله للبشرية ، وإذ شعر بألم شديد نقل على أثره إلى أحد المصحات.

أحمد: كان يفكر في عمل جديد يلتمسه في الحياة فعمله مع التاجر الجشع أعطاه دروساً وخطط له طرقاً.

فقال: إنَّ عبد المعين التاجر الذي كنت أعمل عنده ليس أذكى مني، أو أعرف بطرق الحياة لماذا لا أنزل إلى ميدان التجارة فأبتاع مواد بسيطة أجلس بها على رصيف المدينة، وأجرب حظي وحياتي؟

كيف تكون وكيف ينشق فجر الغد من ليلي ويطلع بأشعته فيبدد هذه العتمة التي تغيم على سماء حياتي؟ فجاء لزوجه وكأنه ظفر بفتح أو بكنز يغنيهم فالحلم والأمل الأخضر والطموح يرشدون الرجل الذي يتغذى منهم في حياته، فما أضيق العيش لولا فسحة الأمل، أصبح أحمد والآمال الخضراء تُزرع في دربه وتضحك له، فابتاع علباً من الدخان وبعضاً من الحاجيات البسيطة وجلس بها على الرصيف وهو ينادي على أسعارها وخفض أسعارها عن التجار الكبار وقنع فيها بربح لا يزيد على الخمسة قروش فنفقت بضاعته واستمر في كل مساء على هذه المنهجية حتى ملك نقداً يمكنه من

توسيع تجارته، فأخذ يتسع وأخذ له عربة يضع فيها بضاعته ويجرها على الأرصفة ويتنقل بها من رصيف لآخر، ولم يمضِ عليه إلا عام واحد حتى استأجر حانوتاً وفتح فيه ما يبيعه من بضاعة على الرصيف ووسعها فمرَّ عليه التاجر الجشع عبد المعين.

عبد المعين: قال له من أنت؟

أحمد: قال له: أنا أحمد الذي كنت أعمل لديك وكنت تعاملني معاملة العبد القن للسيد.

عبد المعين: قال له: لا أصدق أنك أحمد قد تغير لونك وابيَّض فقد كنت أسمر وأصبح هندامك من القماش الممتاز الذي لا ألبس أنا مثله، وأخذ يصف له.

أحمد: أجابه إنني أظهر نعمة ربي وأتمتع بها، أما أنت فمحروم من هذه النعمة وستموت محروماً وستحاسب وتكوى بها يوم الفصل جبهتك وجسمك لأنك لا تحلم يوماً أن تتصدق على فقير أو تنعش جائعاً وقد ظلمتني وصادرت أجوري فلا سامحك الله فاخرج من حانوتي ولا أراك بعد اليوم.

***

سليمان: عندما أُدخِل السجن وطار خبر سجنه للجمهور وعشاق صحيفته الذين يتابعونها بلهفة وشوق ويرتقبونها في فجر كل صباح ليلتهموا من حروفها ولا سيما الافتتاحية التي يكتبها سليمان

وما فيها من جرأة وتوجيه ونقد للحياة السياسية ولحكامها ورؤسائها ومفكريها وأدبائها.. احتشد الجمهور في مظاهرة صاخبة عند السجن يطالبون بإطلاق سراحه وإلا اقتحموا السجن وأطلقوه.

فكانت معركة بينهم وبين السجانين فطار خبر هذه المظاهرة وذاع صيتها ونقلت أنباؤها إلى رئيس السجن، وبدوره نقلها للمسؤول الذي يتلقى الأوامر منه، وبعد التحدث مع الجمهور من أحد المسؤولين أنه سوف يطلق، وطلب منهم التراجع، إلا أن الجمهور أبى أن يتراجع إلا وهو معهم وأخيراً أُرغِمَ المسؤولون على إطلاقه فلما خرج من السجن حُمِل على الأكتاف، وكانت الشعارات من الجمهور تطلق في الفضاء الرحب والزغردات والهتافات بالنصر وبالوطنية وبالدين وبالإخلاص.

فعاد سليمان إلى بيته، وترقب الجمهور صحيفته اليومية، إلا أنها لم تصدر في ذلك الصباح، ولا تزال محجوبة وراء القضبان.

فاحتشد الجمهور ثانية يطلب من المسؤولين إعادة الصحيفة وإصدارها من محررها في كل يوم، ولن يتراجع الجمهور عن هذا المطلب إلا بعد أن يحقق له المسؤولون ذلك، وأُعيدت الصحيفة وصدرت، ولم تمضِ أيام حتى أخذت افتتاحياتها تلتهب وهجاً يصب نقداً على الحياة السياسية وما فيها من انحراف بغيض يهدم الحياة ويخلق طبقية في المجتمع فأرسل له أحد المسؤولين أن يخفّف من هذه الكلمات، وهذا الأسلوب الذي يزرع الفتنة بين المواطنين والمسؤولين وإلا ستغلق الصحيفة ويسحب منه إجازة الصحيفة إلا أن سليمان لم

يرعو، ولم يأخذ هذا التهديد بعين الاعتبار وغرّه ما كان من تأييد له من الجمهور، وما قاموا به عندما سُجِنَ وأغلقت صحيفته.

يوسف: لا يزال يعيش دور البهلوانية فيكسب منها دنانير ليعيش بها ولا يعمل شيئاً غير البهلوانية، ولو اتخذ التمثيل الفني لعاش في عزٍّ وكسب مالاً أكثر مما يكسبه اليوم، ولم يكن ذليلاً محتقراً وأضحوكة وسخرية للأغنياء والتجار فهم يتلهون في فراغهم ببهلوانية يوسف ولم يزجون فراغهم في دراسة للحياة أو يتناولون كتاباً يقرأون فيه، أو تفسيراً يتعرفون على آية من الكتاب المحكم الذي فيه ما يغني العقول وينورها ويزيل عنها هذه العتمة ويشرق في قلوبهم كما يشرق الصبح على رؤوس عرائس النخيل وموج البحر.

لم يكن يوسف يفكر يوماً ما في هذه الحياة الاجتماعية التي تطغى بأموالها البشر فيسخرون ممن دونهم رتبة في المال، وحتى في العلم لأن المجتمع لا يزال جاهلاً يغطُّ في ظلام دامس لم يهذبه الإسلام ولم يتحضّر فكريّاً، ولا تزال الرواسب الجاهلية التي ورثها هذا المجتمع أبّاً عن جدّ.. تصرخ بفيها وبصوتها المدّوي إنني أقدس الغني.. الغني فقط لا غير، أما الفقير المسكين فلا حظ له في مجتمعنا فهو نراه من سقط المتاع، وإنما هو خادم جاء لمتعتنا نحن الأغنياء.

ولكنّ يوسف لم يدرك هذه الظاهرة التي تطفو على نفوس الأغنياء ويطبقونها على صعيد الواقع في الحياة التعاملية مع كل فقير ومسكين إلا الذين يخشون الله وهم قلة على ندرة.

ولكنّ يوسف ظل في حياته البهلوانية وفي نوادي الأغنياء يلهيهم فيلهون به ويضحكهم فيعجبهم الضحك، ولعله يظفر منهم بنصف دينار أو دينار فيعيش به، وقنع بحياة الكسالى الذين لا طموح لهم يدفعهم ليعوموا في بحر هذه الحياة الخضم الذي فيه لا يحسن العوم فتبتلعه الأمواج..أمواج الحياة إنها تصرع هذه البشرية وتبتلعها، مسكين يوسف لا يرى ذلك لأنه لا يفكر فإذاً غير موجود فوجوده يشبه وجود البهائم بل البهائم أفضل من هذه الشريحة.

زيد: ظل في أدواره الخبيثة التي تنخر في المجتمع وتسري فيه كما تسري الأرَضة وكان من الصدف التي مكنته كان له صديق اسمه صادق يرتاد بيته ويتظاهر له بالحب والإخلاص، فذهب يوماً ما إلى بيت صديقه صادق فلم يجده وردت عليه زوجته أسماء أنه غير موجود خرج لقضاء أشياء تتعلق بحياته.

زيد: حانت منه لحظة ليحطم هذه الحياة التي بنيت على ودٍّ وحب فقال لأسماء: إنّ زوجك لا يحبك ولا يخلص لك وهو يبحث عن زوجة أخرى وعندما يتم الاتفاق بينهما سيسرحكِ وتحلُّ في قصرك.

أسماء: ما شعرت إلاّ بألمٍ يسري في قلبها وجسمها، فتمالكت نفسها وقالت: من أنبأك بهذا؟

زيد: قال: أنا أحد الباحثين له.

أسماء: أجابته وكانت ذكية فقالت: إذاً أنت خائن في الاثنتين؟

زيد: قال: كيف ؟

أسماء: إن كنت بحق تبحث له فخنت صديقك وأطلعتني على سرّه، وإن كنت كذاباً فأردت الفتنة بيني وبين رفيق حياتي فلا أرى لك وجهاً وعندما يأتي زوجي صادق سأطلعه على موقفك المخزي الذي لا يرضاه الله ولا رسوله ولا الإنسانية، هب أنك غير مسلم ألم يكن عندك ضمير تعيش به؟ ولكنّ هذا الضمير زنخ ملطخ بالغدر مجرد من الوفاء.

زيد: ذهب يجر أذيال خيبته ووجهه مسوَّد لا يكاد أن يطأ على الأرض حيث فشلت مكيدته وتناثرت كما تنثر الريح أوراق الزهر.

أسماء : جاء زوجها فأطلعته على قصة صديقه زيد.

صادق: دهش وقال يا للأسف إني أمده حتى بالمال، وأظن أنه فقير لا يملك في هذه الحياة إلا ما عليه من ملابس وقد كشفته لي فهو يعيش على وهج فتنة واضطراب شقاء وحياة هدمٍ للبيوت والعوائل وعندما ألقاه سأعرفه نفسه وأعطيه درساً لا ينساه أبداً.

***

استّمرّ محمد ورمزي في مناقشتهما وخلافهما حول هذا المجتمع الذي فيه صور من التناقض فرمزي لا يزال يصرّ على رؤيته حول هذا المجتمع وينظره بمنظار قاتم لا يبصر إلا ليلاً دامساً وبشراً يحمل صفات الوحوش يكاد كل منهما أن يأكل الثاني.

رمزي: بدأ يشرح نظريته القاتمة لصديقه **محمد** وقال: يا أخي إنّ المجتمع الذي نعيش فيه انحدر من القمم إلى أسفل من السفوح، ولو هناك تعبير يصور واقعه لاستعملته في تعريفي لهذا المجتمع الذي نحر أخلاقه على مذبح المطامع المادية التي غرق البشر في حبها إلى شحمة أذنيه ولم يرعو ولم يفكر.

محمد: رد عليه: لا يا رمزي إنّ المجتمع البشري فيه المهذب الذي يحمل مشعل الإنسانية ويضيء لأخيه في هذه الحياة المعقدة التي تتلون في كل لحظة بألوان القلق والراحة والطمأنينة والشقاء لم يفقد المجتمع بعض المحسنين الذين يعطفون على البؤساء ويضمدون جراحهم ويواسوهم في ضرائهم، ولا أريد أن أضع لك أمثلة حية تلمسها بكلتا يديك وتعيش معها وتبصرها تتحرك في هذا المجتمع وأنت لو فتشت في طيات هذا المجتمع وفي زواياه لصادقتني على ما أقوله، أنا لا أنكر أن أكثر هذا المجتمع في صورته الظاهرية التي يظهرون بها كإنسان ولكنهم يلبسون صورة الذئب فيأكل بعضهم بعضاً وقد يعفو الذئب عن ميتة ويتركها ولم يمسها بأكل بل لا يقترب منها ويعيش بعيداً عنها، أما الإنسان لا يعفو حتى عن أخيه ميتاً فهو ينهشه حيًّا وميت وبرغم هذا وذاك شريحة آمنت بالله وبما جاءت به رسله فامتثلت أوامره فارتفعت إلى حياة إنسانية مثالية فهي تضمد جراحات هذا المجتمع ولكنها قلة لا تكاد أن تُعدُّ وهي ضائعة في هذا المجتمع الصاخب ولا يقدرها ولا يقيم لها وزناً إنما يقدس الذئب الذي يختل ويعيث في هذا المجتمع ويصدق عليهم

قول الشاعر العربي :

رأيــت الــنـــاس خــدّاعــاً
إلــى جــانــب خــدّاعــي
يعــيــشــون مــع الــذئــب
ويــبــكــون مــع الــراعي

إنّ هـذا الشاعر يـصوّر لـك مجتمعنـا في صـورة واقعيـة تلمسها وتقرؤها فالشعر هـو مـرآة الحيـاة وديوانهـا فلعلـك اقتنعـت مـن رؤيـاه وبانت لك الحقيقة أمام عينيك.

* * *

الفصل الثالث

وعندما نقل أحد خدم الشيخ ياسين سيدته، ونُيّمت في المصح عاد لبيت سيده، وهو يحسب لذلك الشرير ألف حساب الذي لا يرى للخدم مكانة عنده أقلَّ من حذائه، فحذاؤه أكرم من هؤلاء الخدم عنده وإن كانوا بشراً.

الشيخ ياسين: استقبل خادمه وبصق في وجهه وانهال عليه ضرباً فأوقعه على وجهه إلى الأرض وركله بحذائه وتركه طريحاً وذهب إلى مقصورته يتلذذ بما فعله من ضرب زوجته وخادمه فكأنه نشوان يغط في موجة من الفرح، هكذا النفوس الشريرة الظالمة المظلِمة التي تعيش في ليلٍ دامس، ولا ترى النور نوراً ولا الإحسان إحساناً إنما هي تعيش للأنا ولا تعرف سوى أنا.

سلمى: بقيت تحت العلاج في ذلك المصح ولم يذهب إليها زوجها، ولم يسأل عنها، فضلاً عن أن يزورها ويتفقدها، وعندما شفيت ورخصها الطبيب هاتفت بيتها ليؤتى لها بسيارة من تلك السيارات التي في قصر زوجها، فلم يأذن لهم زوجها أن يذهب

لنقلها وعودتها فظلت في حيرة وأخبرت دائرة المستشفى فأمنوا لها سيارة لنقلها من المستشفى إلى بيتها ولمّا وصلت بيتها ودخلت إلى غرفتها بعد أن أُحيط زوجها بمجيئها وإنها شفيت.

الشيخ ياسين: أصدر أوامره للخدم أن يبلّغوها لا مقام لها هنا في هذا القصر فلتخرج وتلتمس لها مكاناً آخر لأنها لا يليق بها هذا القصر ولا يحتويها ويضمها إنما هي أداة من الأدوات التي تصدأ فتلقى في القمامة.

هكذا نظرته للمرأة فهي في مقاييسه لا تزيد على أداة من أدوات القصر، الأداة البسيطة ولا تساوي التُّحَف أو النجف الموجودة داخل القصر، وجاء والشرر يتطاير من عينيه ليتولى خروجها بنفسه.

سلمى : قالت له: سأحزم حقائبي وأخرج.

الشيخ ياسين: منعها من أن تحمل شيئاً من أمتعتها.

سلمى: كانت تقول له: دعني آخذ ملابسي فقط وبقية الأمتعة سأتركها في هذه الغرفة.

وبعد التي واللُّتيَّ أخذت سلمى قسماً من ملابسها ولم يسمح لها بالباقي، وخرجت ولم تر أحداً ليوصلها إلى بيت أبيها فطلبت من أحد السائقين أن يوصلها فذهب إلى سيده فنهاه، وكان فيهم سائق جريء يعطف على الفقراء ويذكر أيام سيدته وعطفها عليه قال: سأغامر وأخرج بها ولا أعود إلى القصر.

السائق: قرّب السيارة وفتح الباب وقال لها: بسم الله تفضلي يا سيدتي.

سلمى: دخلت السيارة وأغلقت الباب.

السائق: تحرك بالسيارة دون أن يدري سيده حتى أوصل سيدته إلى بيت أبيها، وقرر عدم العودة إلى بيت سيده لأنّ التجربة أمام عينيه عندما نقل زميله سيدته إلى المستشفى، فجاء بالسيارة وأوقفها في محلها وقال لأحد زملائه: إنني ذاهب إلى بيت أبي وسوف أترك المفتاح عندك لأنني لا أعود وهو منطوٍ على عدم العودة لهذا الوحش وخرج لا يلوي على شيء.

الشيخ ياسين: عندما علم بنقله لزوجته زمجر وتطايرت من عينيه الشرر آه لو كنت أظفر به لقطعته إرباً إرباً.

* * *

حمدان : وعندما خرج عبد السلام من المستشفى صار يبحث عن حمدان ليكافئه ولو بزيارة تقديراً لما أسداه من زيارته الإنسانية التي قام بها إلى المستشفى، وكان له السبق في هذا الإحسان المعنوي لأنّ حمدان لا يملك مادة حتى يضيفها للإحسان المعنوي ليتضاعف ذلك الإحسان وينطبق عليه قول الشاعر :

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ
فَليُسعِدُ النطق إن لم يُسعِدُ الحالُ

وعندما التقى حمدان بعبد السلام أخذا يتذاكران قصة السمكة وكيف هذا المجتمع الذي يظلم أخاه في أتفه متاع ويقسو عليه ويحاربه في لقمة عيشه، سبحان الله كأنّ هذا المجتمع لم يؤمن برب واحد رازق وهو الذي يدبر الأمور ولكنّ المال يطغى وينسي هذا الشخص خالقه وينسيه كل شيء فيتمادى في طغيانه وجبروته حتى يختطفه الموت فتخمد تلك الحركة وتهدأ تلك الأطماع، هكذا الإنسان الذي لا يفكر ولا يؤمن بربه وإن كان يدّعي بلسانه الإيمان فالإيمان قول وعمل لا قول فحسب .

عبد السلام: صدقت يا حمدان ولعل هذه المقولة نصيحة لي آخذ منها دروساً وعبراً لأسير على ضوئها في هذه الحياة التي هي بالنسبة للمرء كظلال ينسخها دلوك الشمس ويمحيها ظلام الليل.

حمدان: أنا لست واعظاً ولكنك بدرسك للمجتمع وسبرك واقعه يتبين لك حقيقته وتعرف أنّ هذا المجتمع بجميع طبقاته كل يريد أن يأكل الثاني وأن يحطم أخاه إلا ثلة منهم وهم قليلون هل أنت معي وتؤيدني على ذلك؟

عبد السلام: قال: إنّ الذي تقرره هو ملموس باليد ومحسوس إحساساً واقعياً لا إشكال فيه، ولكنّ قليلاً من يعرف تلك الحقيقة فأكثر الجمهور أغبياء ينقادون كما تنقاد الخرفان للراعي يعمل فيهم كيف شاء ولا يعترضون على جازرهم فهو في كل يوم يجزر من يشاء من هذه الخرفان بدون اعتراض، ولولا هذا الجمهور لما استطاع

الجزار أن يعمل سكينه لردعه الجمهور وأوقفوه في حدوده وعند حدّ بشريته فيرجع إلى حقيقته فيعرف أنه من طين حقير.

***

عبد الجبار: قام بأخذ خاطر سعاد العاملة لديه، وقال لها : سأبتاع طبقاً وأضعه في محله وإن كنت في حاجة للعلاج سنذهب بك إلى أحد المصحات لعلاجك.

سعاد: شكرته وقالت: هل تعفوني من خدمتكم؟ فأذهب إلى بيتي، ولا أحب أن أكون عاملة ينتج عملها سبب الفرقة بين الزوجة والزوج كالذين يفتنون المجتمع ويفرقون بين الزوج وزوجه وبين الأخ وأخيه.

عبد الجبار : قال لها ستبقين على خدمتك وأشكرك على هذا الشعور النبيل، وأنا مستعد لدفع أجورك.

فاستمرت سعاد على سيرتها أيام كانت ربة البيت تذهب منذ الفجر الباكر وتعود مساءً إلى بيتها.

وفي إحدى الأمسيات جاء رب البيت عبد الجبار، وكانت سعاد تنظف غرفته الخاصة وتلمع التحف والمعلقات الثمينة وقد ألقت عباءتها لأنها أمِنَتْ السرب، فدخل وهي لا تشعر فسمَّرته بنظرة فأسرعت إلى عباءتها والتفت بها، وطلبت من سيدها الخروج فأكبرها، وقال نِعمة المرأة التي تحافظ على صونها وعفافها، ولم يفكر في زوجته أين ذهبت لما لبسته من أخلاق سيئة وما بدر منها مع خادمتها وعصيانها لزوجها وإصرارها على طغيانها.

عبد الجبار: ظل يكاتم الحب شهوراً ولم يصرح به لا لأبنائه ولا إلى عاملته، وبعد غياب طويل سمع عن زوجته أنها تعيش مع إحدى جاراتها في بيت متواضع وتطلب الصدقات من الجمعيات الخيرية فطلب من أحد أبنائه أن يذهب إلى أمه وأن يشعرها ويوبخها لما تقوم به من أعمال غير مرضية.

سميحة: إلا أنها لم تستقبل ابنها بما يحب فعبست في وجهه وأصرّت على عملها وعدم عودتها إلى بيتها وزوجها.

الابن: عندما أخبر والده بما دار بينه وبين أمه.

عبد الجبار: قال لأبنائه: شوروا عليَّ ما رأيكم وماذا أفعل؟

أولاده: كان جوابهم الصمت.

عبد الجبار: تركهم أياماً وأياماً ثم أعاد عليهم السؤال.

الأبناء: قال أحدهم: يا أبتي الرأي لك فقد أنذرت فأعذرت.

عبد الجبار: قال: اذهبوا لها مرة ثانية وأنذروها الإنذار الأخير وهذه الرسالة هي إنذار للعودة أو الطلاق إذا لم ترعو عن غيِّها وتعود إلى بيت الطاعة.

***

خرج عبد المعين يجرر أذياله وهو ذليل صاغر من بين يدي الذي كان يعيش تحت رحمته ولا يفتح عينه أمامه لينظره بل إذا

وقف أمامه وقفة العبد الذليل وينظر للأرض ولا يرفع طرفه له، واليوم يجابهه بمجابهة الندّ للندّ ويعنفه على أعماله السيئة ويبصّره بطريق الآخرة، ولكنّ عبد المعين لم يأخذ العِبرة ويحس أنه ليس له أمر ولا نهي إنما كل شيء بيد الله فالذي رفع خادمه قد ينزله من قمته إلى السفح ويعيش ذليلاً لا يعطف عليه عبد مثله.

فامتلأ قلبه على خادمه حقداً وضمر في نفسه أنه سيكيده وينصب له شرَك الغوائل والدواهي ليصطاده فيدمر حياته، ولكنّ كفه لا تندي وأنامله لا تطيعه أن يصرف على نفسه درهماً يتمتع به فكيف يبذله في سبيل مطامعه الدنيئة فراح يحرق الأرم ولا يهدأ الليل، وفي ذات ليلة كأنه مسّهد على وهج من الحريق لأنّ الحقد يأكل صاحبه ويحرقه بناره.

دُرَّة: استيقظت فرأت زوجها في جحيم يضطرب وهو يذرع غرفة النوم ولا يكاد يثبت في **محله**، فقالت له: ماذا أصابك هل أنت مريض أم جُننت ؟

عبد المعين: ولاستغراقه في حقده لم ينتبه لما تقول.

دُرَّة: تركت سريرها وقامت لزوجها ومسكت كفه وربتت عليه بكفها وأجلسته على مقعد وافر في تلك الغرفة، وجاءت له بكوب من الشاي وهي تهدئ فيه حتى استقر وهدأت عواطفه الثائرة على ذلك العامل السابق لديه.

عبد المعين: بدأ يشرح لها قصته وما صادفه في ذلك المساء.

دُرَّة: قالت له: أيها الزوج العزيز أقدم لك نصيحة على طبق من إخلاص وودّ ما أنت وهذا العامل الفقير خرج منك وهو مظلوم فأغناه الله فلا تتعرض له فتزول نعمتك وما تدري ماذا يحدث بك أو بأبنائك فاهدأ واذهب له غداً واعتذر له وحاسبه عن ما له من حقوق إن أخذت بنصيحتي وبرأيي ولا تقل إني امرأة لا أعرف الحياة الاقتصادية أو الحياة الفقهية والمرأة لا يؤخذ رأيها.

أحمد: ظل في حانوته ولم يفكر في زيارة سيده السابق ونسي تلك الجروح وكأنه لم يمر بها ولم يكن يوماً ما عاملاً لديه، ويستقبل الجمهور ببسمة وبصدر رحب وبأخلاق فضلى، واستمر في تجارته حتى اشترى له قطعة من الأرض وأقام عليها بيتاً ليعيش فيه وزوجته وأبنائه وأخذ يتصاعد في الحياة الاقتصادية المادية ويتسع نفوذه في ميدان التجارة اللاهثة حتى أصبح يُعد من التجار الكبار في هذه المدينة، ويستورد البضائع من الخارج ويحضر نوادي التجار، واختير عضواً في غرفة التجارة، واستمر في تألق وشوط تصاعدي وطار ذكره في مدينته وخارجها والكل يهتف به وبسط يده للكرم والإنفاق في المشاريع الخيرية وعلى الفقراء واستمر على هذه المنهجية.

***

سليمان: ظل يواصل نقده فيما يراه معوَّجاً حسب رؤياه في ذلك المجتمع الذي يعيش فيه سواء كان من التجار أو الحكام ولم يبال

بالعواقب التي تنجم عنها هذه المقالات الانتقادية، وهو يهاجم كل من يراه لا يسير في خدمة الدين أو الوطن حتى أخذه الحماس فصدَّر في افتتاحيته نقداً لاذعاً لأكبر مسؤول في تلك المدينة ومنذ صدرت الصحيفة أُحيطت بناية الصحيفة بالبوليس واعتقل سليمان وزجّ به في السجن وعُطِّلت الصحيفة.

فثار المجتمع واحتشد في مظاهرة عنيفة فأطل عليهم مسؤول من قوة دائرة الشرطة وهدأهم وطلب منهم العودة، وإنّ سليمان سوف يطلق سراحه فاستدعي سليمان، وطلب منه أن يقدم تعهداً ألاّ يعود إلى هذا النقد اللاذع، وأن تكون افتتاحياته فيها توجيه وإرشاد لا نقداً لاذعاً فرفض ذلك فقالوا له: ستسحب منك إجازة الصحيفة وتعطل نهائياً ولا تعود للصدور، فقال: افعلوا ما شئتم لن أتراجع عن موقفي وأخيراً سُحبت إجازة الصحيفة وأُطلق سليمان من حبسه.

***

واستمر يوسف في طريقته البهلوانية يزور نوادي الأغنياء عندما يتفرغون فيشغل فراغهم بتلك الحركات لأنهم لا يقرأون ولا يكتبون ولا يشاهدون في ذاك الظرف مذياعاً أو جهاز تلفاز يتسلون بها ويقطعون بها الوقت، وكان يوسف هو المذياع وهو جهاز التلفزة وهو شاغل الوقت وهو الكتاب الذي يشغل وقت العلماء والمثقفين، أما هؤلاء الشريحة فهم لا يزيدون عن شريحة الحيوان الذي همّه أن

يعيش ليأكل... لا يأكل ليعيش، فالحياة عندهم هي دينار وأكل وضحك وسخرية من الآخرين، وقد هيأ لهم يوسف يعطيهم من نفسه ويجرد منه شخصاً هزلياً بهلوانياً، فيشغل ذلك الوقت فيضيعونه في التفاهات والهذر، وما يشعرون إلا والوقت قد ولى وسجل من أعمارهم، فالوقت لا يعود وكل يوم يمضي يدنيهم إلى الأجل وستغرب شمسهم ويمر طيف الغروب بكل شخص، فالتلفزة والمذياع والكتاب عندهم غير مجزية لانغلاق فكرهم وحجريته، وفي إحدى الأمسيات وهم غارقون مع يوسف في بهلوانياته، إذ أحد الأغنياء أصيب بضحك كثير وأخذ يصفق ويضرب يوسف برجله وكفه وما أفاق من هذا الفصل الذي أخرجه عن كماله إلا وهو يشعر بألم في صدره، وامتد ذلك الألم وشمل جسمه وأخذ يصرخ من شدة الألم، وانقلب ذلك الضحك صمتاً ودموعاً تترقرق في العيون.

فحاولوا نقل زميلهم إلى إحدى المصحات إلا أنهم أثناء إسعافه فارق الحياة فانقلب ذلك النادي الساخر الذي يسخر من يوسف ليتحصل على دينار إلى مأتم وعِبرة لو كان هناك معتبر.

***

صادق: وعند الصباح كان يرتقب صديقه زيد ليمر به على ما ألفه وصار عليه قديماً، غير أنّ زيداً لم يمر على صاحبه رب الزوجة لأنّ زيداً مجرم والإجرام لا يخفى ومهما خفيَ سيطفح حروفاً تقرأ في جبين المرء.

زيد: حاول صديقه صادق البحث عنه ليلتقي به إلا أنه اختفى عنه وسافر من تلك المدينة ، لأنّ زوجة صديقه ــ أسماء ــ أعطته درساً لا ينساه وكشفت خيانته وألمسته إيّاها وهكذا الزوجة الصالحة تقوم مقام زوجها وترشد وتكف عنها الشياطين الذين لا يرعون حرمة لصديق.

صادق: أخبر زوجته وقال: إني بحثت عن زيد فلم أره وليتك لم تقولي له إنني سأخبر صديقك بما كنت وراءه من خيانة.

أسماء: قالت: إنني أخالفك في هذه الرؤية ولو لم أقل له ذلك وأعطيه درساً لكنت اشتركت معه في الخيانة ولعلك اتهمتني بذلك ولكنني ما قلت له ما قلت إلا في سبيل الله والمروّة لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤول عنه كل مؤمن ومؤمنة .

زيد: غادر مدينته إلى مدينة تبعد عن هذه المدينة ولا صلة له بها فعاش هناك غريباً يعمل خادماً لبعض طبقات الأغنياء فيعيش على فتات مائدتهم وترك بيته وأهله لأنه أصبح في نظر صديقه المحسن له خائناً لصداقته ولِما يمنحه من عطف ويهبه من أموال يعيش بها، ولكنَّ الطبع لا يزال يسري في الشخص وقيل إنّ الطبع غالب كما قال الشاعر الكبير الشريف الرضي :

غلب التطبع شيمةُ المطبوعِ.. إلخ

***

رمزي: أجابه: يا أخي **محمد** لم أكتشف في تجاربي ورؤياي لهذا المجتمع الهائج المائج الذي يذبح أبناءه وإخوانه على مذبح الأطماع المادية والشهويَّة، ويزرع الموت في دراجة يفجرها أو سيارة يلغمها فيقتل له شريحة من الأبرياء من البشر لا ذنب لهم ولا جرم فيخلف يتامى وأيامى ويرمل نساءً في ربيع الحياة كورود ابتسمت لأنامل الشمس وداعبتها نسائم الحياة وأشرقت عليها أضواء القمر فلم تهتني بهذه النعم فجاءها من وراء الظلام من يخنقها ويحولها إلى رميم بدون جرم اقتَرَفَته، فأسألك يا **محمد** كيف ترى هؤلاء الذين رجعوا نكوساً إلى ما وراء العصر الجاهلي وأظن العصر الجاهلي أفضل منهم لأنهم في ذلك العصر لا يعتدون على النساء والأطفال وكانوا يرونه عاراً من يتعرض لامرأة أو طفل، أما نحن في القرن الواحد والعشرين في قرن الحضارة الفكرية والتطور التكنولوجي يرون هذه الجرائم فضيلة يؤدونها في كل يوم فيقتلون الأبرياء، وهذا القتل قتل جماعي فهل هذا مجتمع حضاري بل لم يكن مسلماً ولم يكن فيه ذرة من الإنسانية يعيش بها حتى يسمى إنساناً إنما هو وحش مفترس صحراويّ يعيش في غابات أفريقيا، كأنه لم ير الفجر ولم يلمح الشمس.

محمد: صمت هنيهة فقال: على رسلك يا رمزي أنا لا أنكر أنّ في المجتمع شرائح الوحوش أفضل منها، ولعلنا نظلم الوحوش إذا قلنا إننا أفضل منها وما قلته واقعي ولكنه برغم ذلك لو فتشت طيات هذا المجتمع لعثرت على شريحة إنسانية تعد وتحصى بقلة

قليلة، ولو خلا المجتمع من هذه الشريحة لتذمر ولم يكن لك سلوة في هذه الحياة.

أنا لا أنكر الذي أشرت له وأوضحته، إنه اليوم جزء من واقع نعيشه ويا للأسف.. ويا للألم لما نتجرعه من مرٍّ أليم ما أدري إلى أي حدٍّ تصل سفينتنا، هل نصل بها إلى مرفأ السلامة أم تغرق ويغرق من فيها إنّ هذا المجتمع مهدد بنذر العواصف والثورة البركانية وإذا لم يقم بذلك مصلح يقود هذه السفينة إلى مرفأ السلامة ستغرق ولعل الله يخرج قائم أهل البيت فيدير هذه السفينة وينقذها حتماً من الغرق.

***

الفصل الرابع

عاش الشيخ ياسين في بيته يعاني الوحدة.. وحدة الدفء فظل يعيش في حياة قارة تشبه الثلج المتجمد، لأنّ الزوجة هي البيت وبيت من دون امرأة يشبه الصحراء القاحلة التي تنفخ الريح فيها وتزمجر صوتاً مخيفاً، ولكنه في سبيل شحّه للم وحشته وعاش في صقيع وطلب من ابنته الكبرى ـ خديجة ـ أن تدير منزله غير أنّ ابنته تباين أسلوب أمها في إدارة المنزل وفي أسلوب الحياة فهي تعيش بذوق رومانسي وحياة عصرية جديدة تختلف في ألوانها وصورها عن أمها فبدلّت الأواني بأوانٍ جدد يشاكل ذوقها، ومنضدة للطعام وكل شيء في المنزل أبدلته بأسلوب جديد.

الشيخ ياسين : جاء فرأى حياة لم يرها، فقال لابنته: ماذا دهاك لماذا هذا الإسراف الذي لم يكن في محله أما سمعتِ المثل الذي يقول: (احفظ القرش الأبيض ينفعك في اليوم الأسود)؟

خديجة: قالت له: يا أبتي هل تسمح لي بدقائق أحدثك فيها وتقبل نصيحتي، يا أبتي إنك على عتبة الخريف وقد تراكمت ثلوج

الزمن فوق رأسك وما تدري متى يكون الرحيل ونصيحتي لك ألاّ تحرم نفسك وتمتع بالصبح ما دمت فيه، وأنك إن تحرم نفسك يتمتع به بعدك غيرك ويتقاسمون ميراثك وأنت غير محمود، ولأضرب لك مثلاً فقد قرأت قصة في أحد الكتب أنّ والداً كان بخيلاً يقتر على عائلته، ولا يخرج من جيبه قرشاً ولا يعطف على فقير وكان في كل ليلة يخرج مع ابنه وفي يد ابنه مصباح يضيء له الطريق وفي ليلة من الليالي ارتدى ابنه مشلحاً أي (رداء أو عباءة) وأخفى المصباح داخل المشلح ومشى وراءه فناداه والده: أي بني أخفيت عني الضوء كي أقع في هذه العتمة الدامسة فأصاب في رجلي أو يديَّ والطريقة المتبعة أن تسير أمام الشخص بالمصباح لتضيء له الطريق، وإلا لا فائدة من حمله، فالتفت له ابنه، وقد حانت له الفرصة ليعظ والده فقال : يا أبتي أخشيت من الظلام ؟ قال: نعم.

فأردف ابنه، صحيح يا أبي ما قلته ان المصباح دائماً يسير أمام الشخص ليضيء له الطريق، أما إذا صار خلفه فيسير في الظلمة ويتخبط في تلك الظلمات حتى يهوي في هوة عميقة لعلها تودي به إلى الموت، فقال: لقد نصحتني نصيحة واقعية فمنذ الغد أنعم على أبنائه وصار يعطف على الفقراء والبؤساء واليتامى فهل تتعظ من هذه العظة؟ ولماذا لا تبعث إخوتي ليتعلموا في الخارج فيكونون لك سنداً وعلماء ترفع بهم رأسك ؟

الشيخ ياسين: صمت وهز رأسه وقال لها: أمكِ خير منك لم

تطلب مني هذه الطلبات ولم تسرف هذا الإسراف وقد أسرفت كل هذا الإسراف.

خديجة: أجابته وقالت: صبراً يا أبتي وتأمل في هذه الحروف التي ألقيتها إليك وتأمل من الذي يرثك بعد الحياة، ألا يرثك أبناؤك فلماذا تكون قفلاً عليهم وتحرم نفسك وتحرمهم؟

الشيخ ياسين: حار وصمت صمتاً عميقاً وذهب إلى سريره ونام حتى الصباح.

وظلت سلمى زوجة الشيخ ياسين في بيت والدها تشعر بخفة وراحة حيث لم تسمع ذلك الصوت البغيض الذي يشبه صوت الحمُر ولكنها قلقة على أبنائها والتمتع بحديثهم والرؤيا لوجههم.

إنّ الوالدة تحنُّ إلى أبنائها ولا تهدأ حتى تنظر إليهم ولو نظرة كانت على عجل لتتمتع بثمرتها وجهودها التي عانت منها بالحمل والولادة والتربية فكيف تراهم أو تصل إلى بيتهم والوحش هناك مفترش ذراعيه في ذلك البيت لعله يلتهمها فتفارق الحياة فاتصلت بابنتها عن طريق الهاتف الجوال لتطمئن على حياتها وحياة أخواتها وإخوانها فدار الحديث بينهما.

خديجة: لخصت لأمها حياتهم وما جرى بينها وبين والدها وما قامت به من تطور في منزلهم تعده البنت تطوراً كبيراً حيث لم يعهدوه ولم يروه فكأنّ البنت ظفرت باختراع جديد لم يسبقها عليه أحد من البشر.

سلمى : استغربت فقالت: إنني لا أصدق لعله غداً يستيقظ فيقتلك أو يطردك من المنزل هذا أقل ما يفعله والدك فهدأتها ابنتها.

خديجة: قالت: يا أماه اطمئني سأقلب حياته من حياة جدب إلى حياة خصب وسأعمل لعودتك إن شاء الله بعصا سحرية فعليك أن تتحلي بالصبر وعليَّ العمل.. والعمل شاق طويل.

ونسأل الله أن يجمع هذا الشتات في حياة فضلى سعيدة، فتمنت لها أمها النجاح ودعت لها بالتوفيق وقالت لها سأصبر وإن كان الصبر مرّاً.

***

ونمت بين حمدان الصياد وعبد السلام الذي ابتاع منه السمكة صداقة وتواصلاً في الزيارات وفي إحدى الأمسيات وهما يحتسيان الشاي قال عبد السلام لحمدان عندما أبصر ابنه فلمس فيه عقلاً ذكياً كأنه شعلة.

عبد السلام: قال له: يا حمدان حرام عليك أن تترك هذا الولد بدون تعليم ألم تدخله المدرسة؟

حمدان: تنهد تنهيدة طويلة ثم غص بها وترقرقت في عينيه دمعتان وبعد صمت طويل قال: يا أخي عبد السلام أنا لا أملك إلا ما أصطاده من البحر وهو لا يكاد أن يغطي نفقاتنا اليومية وقد

يعجز في بعض الأيام إذا لم نتحصل على صيد فكيف أستطيع أن أعلم ابني وأنا في حياة اقتصادية خانقة؟

عبد السلام: قال له: أنا مستعد أن أتعاون معك لإرسال ابنك إلى إحدى الدول الأوروبية لتعليمه إذا استطعت أن تشترك معي ولو تقتر على نفسك وتقسم ما تتحصل عليه من دراهم مما تبيعه فتقسمها نصفين.

حمدان : صمت وقال: هذا مشروع بالنسبة لي شاق ومتعب لكنني أدرسه وأفكر في تخطيطه لعلي أخرج بنتيجة وكانت رؤيتك ومشورتك نافعة ومجدية.

وظل حمدان يفكر طويلاً لا ينام الليل وكان يذهب للصيد مرتين صباحاً وعصراً لعله يوفر فازداد صيده وازداد دخله وهو مستمر في هذه المنهجية يخطط لتعليم ابنه وإرساله إلى الخارج، وهذا أول حلم يحلم به عندما فتح له هذه الرؤية عبد السلام، وعندما ادخر بعض النقود جاء لصديقه فأعلمه بتحقيق فكرته وأنه ادخر بعضاً من المال فيطلب من صديقه المشاركة والعمل على البحث لإرسال ابنه ـ فهد ـ للتعليم بالخارج.

إلا أنّ عبد السلام ظن أن كلامه لصديقه كلام لا أثر له من الواقع وإنما هي حكاية تمرُّ ليتقرب بها ويتملق لصديقه ولم يظن أنه يكون حقيقة تلمس على صعيد الواقع.

عبد السلام: اعتذر لصديقه وقال: أنا لا أستطيع في هذا

الظرف أن أساهم معك إلا أن تتغير حياتي ويأتيني دخل آخر لم أتوقعه غير دخلي هذا، لأنَّ دخلي لا يغطي نفقاتي فمن أين أساهم معك؟

حمدان: أجابه: ما ظننتك تكون على هذا المستوى كنت أظن فيك صديقاً وفياً إذا تكلم وفى وإذا قال صدق، ولكن صداقتك صداقة لفظية جوفاء لا معنى لها وقد ضربت لي مثلاً حياً بالصديق المفقود الذي يتملق ويتظاهر في صورة الصديق وهو في باطنه يكن غير ما يظهر وهذا آخر موقف بيني وبينك.

***

وظلت سعاد تخدم عبد الجبار في منزله وتؤدي عملها على أحسن وجه في كمال تام أفضل من أيام سيدتها ــ سميحة ــ فأعجب عبد الجبار بهذه الخدمة وطلب منها الاستمرار في ملازمة المنزل وحتى أسند لها الطهي وكان معجباً بطهيها ويمدحه، وفي أحد الأيام جمع أبناءه وقال لهم: أنا لا أستطيع أن أبقى بدون زوجة فالبيت لا يكون بيتاً إلا بالزوجة وأنا أعيش في فراغ قار لا دفء فيه فإذا لم تعد أمكم وتكون زوجة كاملة الإنسانية وإلا سأسرحها وأتزوج ممن أشاء فماذا تقولون؟

الأبناء: قالوا: الرأي لك يا أبانا، فذهبوا إلى أمهم وطلبوا منها العودة إلى منزلها فرفضت وأبت إلا أن تعيش على الصدقات وتسأل ما في أيدي الناس وتترك هذه النعمة والعيشة الرافهة.

عبد الجبار: قرر بعد أن تلقى من أبنائه الموافقة على الطلاق وأضمر في نفسه الزواج من سعاد عاملة المنزل لأنها شغفته حباً ووقع في شراكها.

* * *

عبد المعين: غير أنه لم تغمض له عين فظل يفكر في نصيحة زوجته وكيف يتنازل من برجه العاجي إلى عامل كان يعمل لديه حقيراً مهاناً منه لا يستطيع أن يفتح عينه وينظر له حتى أصبح الصباح ولم يذق نغبة من النوم فتناول إفطاره ولبس ملابسه ليخرج إلى تجارته اللاهثة التي هي عنده أثمن شيء في حياته.

جمع هذا الحطام والتلذذ بالنظر إليه وظل ثائراً وعندما جاء إلى الطريق التي تتجه إلى حانوت عامله السابق أحمد كان بين بينين بين نفس أمّارة بالطغيان والكبرياء، وبين نفس تجنح للإنسانية وتسمع صوت زوجته تناديه أطعني ترشد، وكانت أصداء هذه الجملة تتردد في سمعه فكان يحاول أن يعطف إلى حانوت أحمد فيتردد ويحجم ثم يعود متجهاً إلى متجره وترن في أذنه تلك الجملة أطعني ترشد، فيعود من حيث مضى ويرجع إلى حانوت أحمد ثم يتردد ويحجم فيعود أدراجه واستمر مدة حتى استغرق نصف ساعة وهو بين الإقدام والإحجام وأخيراً تغلبت نفسه الشريرة على النفس التي أرادت أن تكون إنسانية وتعمل بنصيحة زوجته ـ دُرَّة ـ فذهب إلى متجره ولكنه يعيش على جناح من القلق واضطراب فكريٍّ ولا

يستقر على حال من الحيرة والتفكير حتى انتهى الوقت وحان إغلاق المتجر ليعود إلى بيته، فعاد إلى بيته فاستقبلته هذه الزوجة المخلصة ببسمة وربتت على كتفه.

دُرَّة: قالت: مرحباً بزوجي العزيز هل نفّذْتَ ما أوصيتك به وأرشدتك إليه؟

عبد المعين: لم يجبها وكان غارقاً في صمت عميق كأنه لم يشعر ماذا تقوله ونزع ملابسه واستقر مع زوجته ليتناول وجبة الغداء مع أبنائه ولكنه لم يكن كالأمس يخطط في مشاريع تجارته ويتحسس عن مجيء البواخر التي تحمل له البضائع من الخارج وتعلو خطوط وجهه غمامة سوداء وتفكير لا يكاد يهديه إلى طريق.

دُرَّة: رأته على حالة لا يحمد عليها فقالت له: أيها الزوج العزيز أتريد أن ترتاح وأن تلقي هذا الحمل الثقيل وتعيش في ظل سعيد وحياة هنيئة نفذ ما قلته لك والقِ ما في صدرك من غلٍّ أو حقد لأنّ الحقد أول ما يبدأ بصاحبه قبل المحسود.

إن شاء الله عندما تخرج مساءً لمتجرك نفذ نصيحتي وسترجع لنا كما كنت قبل يومين.

عبد المعين: هز رأسه ولم يرد على زوجته إلا بالصمت.. الصمت العميق وألقى بنفسه على سريره لينام ولكنه لم ينم وحان وقت خروجه فارتدى ملابسه وخرج يذرع الطريق وهو في حيرة

وتردد أينفذ النصيحة أم لا ؟. وتعصيه نفسه، ويذهب لمتجره كما فعل صباحاً.

أحمد: صار في ميدان التجارة يصرِّف تجارته في مدينته بدون جشع ولا طمع فتوسعت رقعته المادية وانبسطت يده على تملك العمارات ومساحات زراعية ابتاعها من مصالحه التجارية ووسع على عائلته وبنى له قصراً فخماً لسكناه يليق بمركزه التجاري بدل بيته السابق ولمع اسمه فصار كطغراء تقرأ من بعيد وقرر إرسال أبنائه بعد أن تخرجوا من المدارس الثانوية إلى إحدى الجامعات في الغرب ليدرسوا وكل حسب ما يهوى من تخصصات يرغبونها فكان مصيباً في تفكيره لأنّ العلم أفضل من المال وسلاح العلم هو أمضى سلاح، أما المال فيفنى ويبقى العلم خالداً ما بقيت الحياة.

وبعد مضي أربع سنوات على دراسة الابن الأكبر ــ حسن ــ عاد له فصار ذراعه الأيمن وينوب عنه ويخفّف من أتعابه وما يحمله من همّ التجارة اللاهثة، وكان صالحاً يتصدق على الفقراء فصار على طريقة أبيه ومنهجيته، وعاد أخوه الثاني عيسى بعد أن حاز على شهادة في الإدارة فأسند له والده إدارة مكاتبه والحسابات ومتابعة العملاء في إتجارهم مع أبيه والتحصيل من العملاء.. إلا أنّ هذا الابن لم يكن كأخيه فصار في درب مظلم يبدد فيه أموال أبيه في طرق غير مشروعة وفي انحراف خلقي، فلم تمض على إدارة عيسى قرابة أربع سنوات حتى أصبح والده يحس بنقص هائل في

أمواله وتأثرت تجارته تأثراً محسوساً وطلب من التجار الذين يجلب البضائع منهم أن يعطوه مهلة لتسديد ما عليه من أثمان تلك البضائع التي يبتاعها منهم .

وعندما أمر بجرد أمواله عرف ذلك النقص إلا أنه لم يضع يده على الخلل الذي أصاب هذه الأموال، وبعد البحث الطويل المجهد والتحسس والرصد لما يخرج ويدخل وضعوا يدهم على الداء وهو عيسى الذي أنفق تلك الأموال في طرق منحرفة، فأوقفه أبوه وأبعده ولكنه بعد فوات الأوان.

***

سليمان: بعد خروجه من السجن احتفى به الصحفيون وكلٌّ يطلب منه أن يعمل معه في صحيفته إلا أنه شكرهم وطلب منهم إمهاله ليفكر في مستقبله وماذا يلد له الغد من أحداث تسرُّه أو تسيئه ؟. فقالوا له: لو عملت معنا مؤقتاً وأنت تنتظر الغد وإنّ غداً لناظره قريب.

إلا أن سليمان لم يستجب لهذه الرغبة وظل في بيته يكتب مقالات نارية بتوقيع رمزي ويرسلها إلى الصحف الأوربية وفيها نقد لمسؤولي بلاده وحكامهم وشريحة من مجتمعه ويناصر الفقراء والمحرومين، وضاقوا ذرعاً بهذه المقالات ولم يعرفوا من أين تأتي هذه الانفجارات النارية ولم يكتشفوها وهو قابع في بيته لا يتصل

بالمجتمع ولا يتحدث مع أحد منه حتى اتهم بردة فعل تناقض حياته الأولى الاجتماعية إلى حياة فردية فهل هذه الردة جنونية أو أُصيب بمرض نفسي انفصام في الشخصية؟ وواصل سليمان مقالاته ردحاً من الزمن طويلاً وقد بذلت الأموال لاكتشاف ما وراء هذه الحروف من اسمٍ ومن القائل لها ولكنهم عبثاً حاولوا وهي تأخذ تأثيرها في المجتمع وليس في مجتمعه إنما هي قنابل تتفجر في المجتمع العربي وأخذت تلك الصحف لا تثبت عند بائعيها فمنذ وصولها إلى البائع يتزاحم عليها الجمهور كطابور وقد يداس الشخص عند ازدحام ابتياعها.

***

يوسف: وصار يبحث عن شريحة أخرى ليسليها ويضحكها ويعيش بينها كما يعيش البهلوان يسخرون منه ليتحصل على دينار حقير، وهكذا بعض النفوس تذل نفسها فأرشده شخص لنادٍ يجتمع فيه التجار والأغنياء في كل ليلة عندما يلقون بأعبائهم ولم يكونوا في ذلك الظرف يشاهدون تلفازاً أو جهاز راديو، وهؤلاء لا يقرأون كتاباً إنما يسمرون على لهو وسخرية وفراغ يقضونه ويزجونه في التفاهات وغيبة الناس ليأكلوا لحومهم، إنهم يحبون أكل لحم أخيهم ميتاً فكرهتموه وقد أشار إلى ذلك كتاب الله العظيم فجاء لهم فكانت الضيعة المفقودة التي يبحثون عنها فلقوها.

بدأت السخرية والضحكات، والحركات البهلوانية التي يقوم يوسف بها ليتحصل على درهم أو أكثر أو أقل.

فأخذ معهم في كل مساء تعقد هذه السمرات التافهة التي تحط المجتمع ولا ترفع من حياته ولا تفتح له دنيا ثقافية أو حياة خلقية إنما هم يشبهون الحياة الحيوانية وهم يعيشون فيها ولا يرضون بتسميتها لهم لما تجمد من عقولهم حتى أصبحوا كالحجرة يلهون ويسخرون من بشر خير عندهم من أن يصغوا لتلفاز أو مذياع أو كتاب يقرأونه، وفي بعض الأمسيات استيقظ قلب شخص منهم ومرت به صحوة فكأنما هو نائم فاستيقظ وقال: يا إخواني لماذا نحن في كل مساء نقضي حياتنا في هذه الحياة التافهة ونسخر من إنسان لأنه فقير لا يستطيع أن يعيش أو أن يقدر على أن ينهرنا أو يوقفنا عند حدودنا أليس هو إنسان مثلنا أنطغى عليه بالمال؟ فأجابوه لا ندري كيف تبدلتَ ألستَ أحد الساخرين منه وكنتَ أعظمنا سخرية وانتقاصاً ليوسف؟

***

زيد: فحاك قصة ليقع بها بين رب البيت وأبنائه فاختلق على رب هذا البيت أنه غير راض عن أبنائه وسوف يكتب ما عنده لأحد أبنائه الذي هو من زوجة أخرى توفيت وظل يعزف على هذه القصة حتى أيقن بها أبناؤه وتغيروا فجأة مع أبيهم فأحس والدهم بذلك التغير، وفي كل يوم تزداد هذه الفجوة وتتسع بين الأبناء والأب وهو يجهل السرّ في ذلك ومضى ردحاً من الزمن والحياة تستاء بين الوالد وأبنائه فأفضى والدهم لصديق له بهذا السرّ وهذه الفجوة

العميقة، فقال صديقه: تسمح لي أن أخاطب أبناءك وأبحث عن هذه الفجوة العميقة التي نجمت بينك وبين أبنائك فأبعدت أبناءك عنك وما هي الأسباب والعوامل؟ وقبل أن أذهب لهم أحب أن أعرض عليك بعض الاستفهامات وإن كانت هي من صميم حياتك الداخلية التي ليس لأحد حق في السؤال عنها أو التدخل فيها هل تغيرت معاملتك مع والدتهم ومعاملتك معهم؟ هل قترت عليهم وكنت سخيًّا تنفق عليهم؟ قال: كل ذلك لم يكن، وأنا مستمر على حياتي الحالية كالماضية، لا تبديل بينهما ولا تغير فذهب هذا الصديق لأبناء صديقه وفاتحهم في ذلك الأمر الخطير وقال لهم: إنّ مقاطعتكم لوالدكم تودي بحياتكم وتقربكم إلى الهاوية في الدنيا والآخرة ألم تعلموا أن البرّ بالوالدين هي من أوامر الله ومن لم يبرّ أباه فلا يشم ريح الجنة، وما هي العوامل التي دفعتكم لخلق هذه الفجوة التي تتسع كل يوم وتتعمق؟

الأولاد: أجابوه بالسلب نحن لم نتغير مع أبينا ومن قال لك ذلك هل هو أخبرك؟

كان جوابه مختصراً مفيداً لا يا أبنائي لم يقل لي ولكني لمست معاملتكم بالأمس ومعاملتكم اليوم مع أبيكم فأوضحوا لي السر لعلّي أستطيع أن أُخفف أو أن أُزيل هذه الصخرة الكؤود التي وقعت بينكم.

* * *

محمد: هز رأسه وقال: يا أخي رمزي أنا لا أذهب بعيداً عنك وأضيع في صحراء لا تسمع فيها حتى صدى صوتي، أنا معك في محل نشاهد بعضنا بعضاً ونقرأ بعضنا بعضاً بل بين يدينا الحاسوب نقرأ العالم كله وأحداثه ومتغيراته وما يجد فيه من صباح أو مساء لحظة بلحظة وأول بأول نقرؤه في هذه الشاشة الصغيرة وكأنما العالم الذي يعيش في هذا الكون المتسع جُمِّعَ في غرفتنا وهو يعيش معنا في هذه الشاشة ويتنفس في هذه الغرفة، قد تستغرب من هذه المقدمة أو هذا التمهيد الذي أريد أن أرد عليك فيه وقلت لك أنا معك لم أكن بعيداً يوماً ما فرؤياك في هذا المجتمع كرؤياي إنما أنت تسرف كل الإسراف وتخلط الحابل بالنابل وأنا أجيء فأضع المنخل فيسقط منه الزوان ويبقى الحَب وهذا الفرق بين رؤياي ورؤياك كما ضربت لك مثلاً بشاشة التلفاز التي تجمع الطيب وغير الطيب وجميع شرائح من يمر عليها، فعالمنا كمثل هذا المثل الذي مثلته لك وأقرب نظرتي من نظرتك وأشرح لك ما أرتئيه أنا لا أنكر أن هذا المجتمع انحدر انحداراً إلى حياة وحشية ضارية ففي كل يوم نشاهد الصرعى بسيارات ملغومة تنفجر في الأبرياء والنساء والأطفال وكأننا نشرب كأساً مثلجةً من ماء عذب تناولها شخص صديان ليرد حياته ولا ضمير يتحرك فيرق لهذه المناظر الدامية والمشاهد المقطعة، كيف لا نذوب حسرات ونحن نشهد هذه المناظر تُعرض على شاشة التلفاز في كل لحظة من كل يوم وبرغم ذا وذاك توجد ثلة من الأخيار وإن كانت قليلة لا تكاد تراها إلا بمصباح من ضوء الإيمان

حتى تعثر عليها فتسرك فهل أنت يا رمزي مقتنع برؤياي هذه التي اختصرتها لك كما يختصر لنا العصر الحديث المسافات أجبني عن ذلك ؟!.

رمزي: صمت هنيهة ثم قال: يا أخي محمد أنت قرّبت لي فكرتك وأوضحتها وألمستنيها على واقع الحياة أشاهدها كشريط مجسد حيث ضربت لي الأمثال ولكنني أبتعد عنك في نظرتي لهذا المجتمع أنا لا أُؤمن بهذا المجتمع ككل لأنني لم أعثر على شخص منه وفى بعهوده وصان صداقة أخيه وكان مؤمناً يعيش بضمير أبيض ولا يهدف من وراء أعماله إلاَّ الإخلاص والمكافأة من الله لا للمراءاة والجدل أو ليرد عليه أكثر مما بذله فهو تاجر إن ربح وإلا حطم هذه الصداقة وركلها برجله وابتعد عنها ولم يعد لهذا الصديق لأنه لم يربح، فهو يعيش للأنا ويموت للأنا وليس عنده إلا أنا.



الفصل الخامس

الشيخ ياسين: استيقظ ونهض من سريره وجاء لمائدة الإفطار فرأى ألواناً على المائدة لا عهد له بها ولم يتذوق طعمها فحيَّته ابنته وقبّلت يده وجبهته وقدمت له المقعد ليجلس عليه أمام منضدة الطعام وأخذت تباشره وتقدّم له من ألوان الطعام وهو هادئ مطمئن، إلا أنه أردف يا ابنتي العزيزة البارحة لم يداعب جفني نوم وعشت ليلتي في قلق وتفكير.

خديجة: جاءت ووقفت الى جنبه وربتت على كتفيه وقالت: يا أبتي أفديك بنفسي إنّ الحياة لا تدوم والسرور لا يطول والحزن لا يبقى وحزن هذه الحياة وهمومها أطول من سرورها فلماذا لا ننفق مما أنعم الله علينا من نعمه ونعمل لآخرتنا، فإنّ هذه الدنيا زائلة وغير باقية والموت في أرقابنا لا يميز بين الشاب والكهل والشيخ لكل أجل كتاب، فإذا انطوى كتاب الأجل حتماً لا يبقى، فنصيحتي لك أن تهدأ وتعمل خيراً لنفسك فأنا أتكلم كأنثى لا حول لها ولا قوة إنّ أبناءك لا ينفعونك بعد موتك.

الشيخ ياسين: صمت وهو بين الجزر والمد.. الجزر الذي تحكّم في نفسه حب المادة والحرص عليها ولو كان على نفسه، والمد الجديد التي جاءته به ابنته وشوّقته وصورت له الحياة والموت فأيهما يتغلب عليه؟ وظل صامتاً تتقاذفه أمواج من التفكير والحيرة وتناول وجبة الإفطار وهو لا يحس بلذة الطعام وكأنه يعيش في حياة قلقة وفي أمواج مضطربة وقام وارتدى ملابسه ليخرج من بيته، وحانت له صورة زوجته التي أخرجها من بيته إخراج العبد الذليل وطردها وحقَّرها، وحانت له خاطرة لماذا ابنته لم تأتي بسيرة أمها، وما اكتنفتها من عيشة مع أبيها التي قضوها في خناق وشقاق لم تدُر هذه السيرة، ولم ترويها ابنته له ولم تطلب الإصلاح وعودة أمها لبيتها ولكنه غادر البيت لمكتبه كعادته كل يوم.

وعندما دخل المكتب فوجئ خدمه وأهل القرية الذين تعودوا على زمجرته وطغيانه عليهم وجدوه في هذا الصباح هادئاً وفي حيرة وعلى وجهه ملامح الذهول يقرأون ذهولاً عميقاً يطفو على أسارير وجهه حتى لا يكاد أن يحس لما حوله.

لم يتجرأ أحد ليسأل الشيخ ياسين ماذا به وماذا دهاه؟ وقضى الفترة التي كان يقضيها كل يوم وتحصل من الإتاوة التي يأخذها من أهل القرية كعادته المستمرة وعاد لبيته، ففوجىء بابنته تستقبله عند السلم فقبّلت يده وجبهته وأخذت تنزع عنه ملابسه وتلبسه أثواب البيت ثم جاءت له بالماء ليتوضأ للصلاة .

خديجة قالت له: يا أبتي ابدأ بالصلاة حتى أقدّم لك الغداء فاستغرب من ذلك ورأى حياة لم يكن يحلم بها ولا رآها من ذي قبل.

الشيخ ياسين: بعد أن تناول وجبة الغداء سأل ابنته: لا أراكِ تتحدثين عن أمكِ وماذا أصابها؟ فصمتت هنيهة وكانت البنت مؤدبة وتدرس نفس أبيها لتدخل له مما يحبه.

خديجة: قالت: يا أبتي إنّ هذا الوقت هو وقت نومك وراحتك وأنت لم تنم البارحة فأرى أن تنام ونؤجل هذا الحديث حتى يأتي وقت يناسب فيه البحث عن حياة والدتي وما مر بها معك.

سلمى: ظلت تعيش في بيت أبيها وإن كانت لتتحسر على رؤية أبنائها وتفضل تلك العيشة الجاحمة على عيشتها الهادئة في بيت أبيها لأنها هناك تتمتع بأبنائها الذين تعبت عليهم وربتهم فلما كانوا وروداً تحرم اليوم أن تستاف العطر منهم وتعيش في قلق عليهم من زوجها ذلك الوحش الذي يريد أن يفترسها وتخشى لغيابها أن يكون أبناؤها فريسة عِوضَها لأنّ الوحش لا يصبر عن فريسة يتشبث بها ويشرب دمها، ولكنّ ابنتها سقتها جرعة من الصبر وهدأتها وطلبت منها الانتظار لأن العمل مع أبيها شاق وطويل.

فيأخذ سلمى التردد في نجاح ابنتها لما رأته من زوجها ولمسته من طغيانه وإصراره على ما يراه ولن يستطيع أحد أن يقنعه أو يرجعه عن هذا الطغيان وهذا الاستبداد فهي بين نارين بين التذكر

لما رأته من زوجها وبين ما زرعته ابنتها من آمال مخضوضرة، فتارة تعيش متفائلة، وطوراً تمر عليها الحياة مضببة بضباب أسود يغيم على آفاق نفسها، وفي جوّ حياتها، وظلت سلمى بين الأمل واليأس.

***

عبد المعين: عاد إلى بيته فاستقبلته زوجته دُرَّة.

دُرَّة: سألته هل ذهبت إلى أحمد وقدمت له العذر؟

عبد المعين: هز رأسه فأجابها بالسلب.

دُرَّة: تلطفت له وصاغت له عبارة فيها حنان ورفق: أنا لا أدخر النصيحة لغيرك لأنك عندي أحب من عائلتي وأبنائي فنصيحتي جاءت خالصة نابعة من حبٍّ وإخلاص فكلي رجاء باسم هذا الحب الذي أحببتك للحب فقط أن تنفذها غداً إن شاء الله.

عبد المعين: ظل في حيرة من مقولة زوجته ولكنها بدأت تنقشع عنه غمامة الظلم ويبسم له ضوء من كوة الإنصاف.. إلا أنّ ذلك الضوء ضئيل لا يكاد أن يُرى فأصبح الصباح وارتدى ملابسه وخرج إلى متجره كما هي العادة وتردد في طريقه هل يذهب إلى أحمد فينفذ نصيحة زوجته أم يذهب إلى متجره؟ فلم تطعه نفسه فذهب إلى متجره غير أنه فهم من بعض التجار ما أصاب أحمد فكانت كالعظة له لعله يصاب كما أصيب أحمد، فالمرء في هذه الحياة عرضة للبلايا وأغلق متجره قبل الوقت وذهب إلى متجر أحمد.

عبد المعين: ألقى عليه التحية.

أحمد: حياه ولم يظهر له ما أصابه، وكأنه لم يصب بشيء وأجلسه إلى جانبه ودعا له بالقهوة والشاي.

عبد المعين: قال له: أي حاجة أو مساعدة أنت في حاجة لها فأنا مستعد لك ولم يفاتحه في حقوقه المتخلفة لديه من أجور له.

فخرج منه، فقام له أحمد وشكره وذهب إلى بيته وأخبر زوجته بما فعله فشكرته على ذلك.

أحمد: ظل يرقع ما أصابه من شقوق في حياته التجارية فيبيع من بعض العمارات فيسد تلك الشروخ بصبر ولم يتأفف، وظل يواصل تجارته من بيع وشراء حتى مضت عليه فترة فعاد إلى سيرته الأولى وحياته التجارية المنتظمة، وقال: كنت فقيراً فأغناني الله وهذه النعم هي من عنده فإن تذهب هذه الأموال سيعوضني الله بدلها ومشيئته فوق المشيئات وأنا شاكر لله.

وهكذا العبيد الصالحون الذين يؤدون ما أنعم الله عليهم بالشكر والرضا، فارتفع ابنه حسن عنده لما رأى منه من أمانة واستقامة فأجازه بجائزة معنوية وهي وسام الأمانة، أما ابنه عيسى الفاسد فحرمه من ممارسة أية أعمال عنده ونبزه، وصار لا يكلمه فظل كالسجين في بيته، ولم يخصه بمنح كإخوته.

* * *

سعاد: وكانت مهذبة عليها مسحة من الجمال إلا أن الفقر والذل والإهانات تقلل من ضياء ذلك الجمال.. الجمال هو الأساس في متعة الحياة ولا سيما في المرأة إذا كانت صالحة ويزيدها جمالاً فوق الجمال إذا كانت امرأة مستقيمة ذات خلق وتحسن التبعل، وسعاد تحمل من بعض الصفات الجميلة لذلك رغب فيها رب المنزل وقرر الزواج منها فأرسل لها أحد أبنائه ليفاتحها في الزواج منه.

سعاد: قالت لابنه: كيف يرغب الزواج من فقيرة خادمة في منزلكم وأكون سبباً في هدم حياة زوجين وشؤم على والدتكم أنا لا أوافق على ذلك لأن فيه الفرقة وما أنا وهذا الغني أبلغ أباك التحية واشكره على هذا التقدير، وبعد هذا اليوم سأمتنع عن الخدمة في منزلكم لأنني أخجل من لقاء والدكم بعد أن طلب يدي.

الابن: رجع لوالده وأخبره بما جرى بينه وبين سعاد.

عبد الجبار: غامت الحياة في عينيه واربدّت آفاق نفسه.

الابن: قال له: يا أبتي لا تحزن فالنساء كثيرات وإذا أصررت على الزواج لا يكون إلا من سعاد فعليك أن تقنعها وتغريها وترضيها بالمال.. فالمال يلين الحديد ويطوع كل عنيد.

عبد الجبار: قال: سأفكر وأتناظر معك ومع إخوانك فيما يصلح لي ويصلح لبيتي.

***

حمدان: وظل الصياد يبحث عن طريق لتعليم ابنه بعد أن حصل على الشهادة الثانوية فتقدم لإحدى الجامعات التي ببلده، ولمّا حانَ دور المقابلة الشفوية :

سأله رئيس اللجنة أسئلةً لا صلة لها بالامتحان: حيث قال له: أنت تنتمي لأي مذهب؟

فهد: قال: أنا مسلم والمسلم لا فرق عنده بين المذاهب.

رئيس اللجنة: بعد اكتشافه لأي مذهب ينتسب قال له: ما الفرق بينك وبين الحمار؟

فهد: أجاب: الفرق بيني وبينه هذه الطاولة.

فصمت المختبر وخرج فهد بن حمدان يجرر أذيال الخيبة وذهب إلى أبيه ليقص عليه ما جرى بينه وبين رئيس اللجنة.

حمدان: قال له: سررتني بجوابك برغم إيصاد باب القبول في وجهك.

ولكنّ حمدان هذا الصياد الفقير كان يطمح أن يكون ابنه متعلماً ويكون له قرة عين وقمة شامخة يفخر به، فصار يدخر له من كدِّه في صيد السمك حتى جمع في يده مبلغاً ووفره لدراسة ابنه في الخارج وأرسله إلى إحدى الجامعات.

وظل حمدان لا يثق بأحد بعد أن خذله صديقه الحميم الذي عدّه ركيزة في هذه الحياة يرتكز عليها وخاب أمله فيه فقطع علاقته

معه وعاش وحيداً من عمله إلى بيته وكل ما يهتم به في حياته يطمح أن يتخرج ابنه ويعود وهو حامل الشهادة العليا.

* * *

سليمان: وواصل سليمان مسيرته النقدية المغلفة لاسمه بستار حديديٍّ وحتى أثرَّت مقالاته الوطنية في أفق نفوس القوات والجنود في تلك الدولة وبدأوا يتمردون على قائدهم الأعلى ويخططون للاستيلاء على الحكم، فقاموا بانقلاب عسكري وحوّلوا بلادهم إلى جمهورية وبعد فترة طويلة كان الحكم الجمهوري أسوأ من العهد السابق وانتشر فيه الظلم وكمت الأفواه، فأسف سليمان أسفاً كبيراً ولكنه لا يجدي الأسف حيث فات الأوان.

خرج سليمان من تلك البلاد يجر أذيال الخيبة التي انتكست وحاصرت كل فكر حرّ وخنقت الأفكار فلا يستطيع المفكر أن يتكلم أو ينطق ببنت شفة كان يريد أفقاً واسعاً يتنفس فيه الأحرار والمفكرون ولكنه عاد أفقاً يختنق فيه الأحرار وكل ذي فكر.

ولما خرج سليمان من وطنه ذهب إلى إحدى الدول الأوروبية كلاجىء سياسي وصار يحارب ذلك العهد بمقالاته الصريحة وينشرها في تلك الصحف العالمية واستمر على وتيرته بتوقيعه الصحيح.

* * *

يوسف: خرج من ناديهم وفي الصباح استدعاه (داود) أحد المستهزئين بيوسف في بيته وقدم له نصيحة .

داود: قال له إني كنت من الذين يستهزئون منك ويزجون وقتهم في الضحك عليك وكأنك ألعوبة وسخرية، والآن قد صحا ضميري لذلك استدعيتك إلى هنا لأنقذك من هذه السخرية التي تعيش بها ردحاً من الزمن وأقدّم لك بعض المال لتفتح لك حانوتاً فإذا وفقت وأمدك الله بالرزق فاردد عليّ ما أقرضته لك وإن خسرت لا سمح الله فأنت مباح بما قدمته لك وأحتسبه في سبيل الله.

يوسف: وافق على ذلك وقبض المال وفتح له حانوتاً يبيع ويشتري فيه واستمر على بيعه وشرائه.

داود: لم يطالبه ولم يبحث وراءه عن تصرفاته وبيعه وشرائه إني تركته يتصرف كيف يشاء وما قدمت هذا المبلغ إلا ابتغاء مرضاة الله وسننظر بما يأتي به غداً.

* * *

الوسيط: خرج منهم على أن يعود مرة أخرى ليستل منهم الأسباب التي خلقت نبوة بينهم وبين والدهم وبعد فترة قصيرة اختلى بهم وأصر عليهم إصراراً لابدّ لهم أن يرفعوا الستار ويلمسوه أسباب الخلاف الذي وقع بينهم وبين والدهم وأبعدهم عنه روحياً ومادياً وبعد الإلحاح كشفوا له عن السرّ.

الأبناء: قالوا إن زيداً أبلغهم أن والدهم كتب وصية، وحرمهم من كل ما يملك بعد موته، ووصى بهذه الأموال لأخيهم الذي هو من أم أخرى.

الوسيط: قال لهم: الآن قبضت على السرّ وسأذهب لأبيكم وآتيكم بالخبر اليقين.

وبعد التفاهم مع والدهم نفى ذلك كل النفي واستغرب من هذا الشخص الذي أكرمه وأعزه وعامله معاملة أبنائه، فجاء بزيد وكان الوسيط حاضراً.

الوالد: قال له: يا زيد كيف افتريت هذه الفرية أأنت كتبت هذه الوصية أم اطلّعتَ عليها، أم كنت أحد شهودها؟

زيد: أنكر أنه نبس بهذه الكلمات أو تحدث لأحد.

الوسيط: قام بدوره وأحضر الأبناء أمام والدهم وزيد.

زيد: أنكر مقالتهم.

الأبناء: سبحان الله حاولت أن تخلق بيننا وبين والدنا فتنة وتفرق شملنا أما تخاف الله أأنت إنسان إنّ الوحش خير منك فطردوه وخرج من بيتهم.

وعادت الحياة إلى مجراها الأصيل وصفا الجوّ المتلبد بالغمام الأسود وانقشعت تلك العتمة وعادوا مع والدهم كما كانوا في أعماله وفي إخلاصهم له

زيد: ذهب يبحث له عن مكان يعمل فيه ويزرع فيه فتنته ويتقرب بنميمته وفتنته لمن ينم عليه، فإذا ما اكتشف بحث عن مكان آخر وهكذا تفكيره وعيشته.

ففكر فخرج من تلك القرية لئلا ينفضح سرُّه إلى قرية أخرى والتحق بورشة يعمل فيها.

***

رمزي: ظل يعيش في مجتمعه بمنظار أسود ينظر به ذلك المجتمع ولا يفرق بين الإنسان والذئب فهو لا يبحث بحثاً دقيقاً إنما ينظر فوق السطح ويلتقط الزوان وينظر إلى الزبد دون الماء.

عادت ندوته مع محمد فبدأ رمزي يتحدث ويشرح نظراته السوداء.

رمزي: قال: يا أخي محمد إنني لا أرى في المجتمع إنساناً يخلص لإنسانيته ويعامل أخاه كإنسان مثله إنما هم ذئابٌ في صور إنسان وما أصدق بيت المتنبي على هذا المجتمع :

وصرتُ أشك فيمن أصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنامي
ولما صار ودُّ الناس خباً
جزيت على ابتسام بابتسامي

***

أسمعت يا **محمد** كيف الشاعر العملاق الذي درس خلجات النفوس يصور لنا المجتمع في هذه المقولة البليغة؟

محمد: صمت لحظات، وهز رأسه وقال : يا رمزي إني عجزت أن أقنعك، وأن أرد نظرتك السوداء إلى نظرات بعضها بيضاء، وبعضها سوداء ـ المتنبي ـ يصوّر هذا المجتمع من تجاربه التي مرّ بها ولا يشير للمجتمع ككل، وسبق أنني قلت لك إنّ أكثر المجتمع ذئاب يأكل بعضها بعضاً ومنه شريحة إنسانية على قلة وندرة تعمل على سعادة هذا المجتمع وتبذل كل ما **تملك** في سبيل إنعاشه، ولكنك تصر على رأيك وأنت ترى الحقائق بين يديك ولا أدري كيف الخروج معك من هذا البحث الذي أنفقنا فيه الساعات ولم نصل إلى شاطئ السلامة فأنا لم أقتنع برأيك وأنت لم تقتنع برأيي وقد لمست من قراءتك إلى هذه المقولة البليغة أنك تشك حتى في صداقتي وفي حديثي معك.

رمزي: أجابه: لا يا **محمد** أنت أخي وصديقي، وأنا أبذل في سبيل صداقتك كل ما أملك، ولا تنطبق عليك هذه المقولة، إنما أشرت بها إلى المجتمع ككل.

محمد: قال له: لا أنت أدركت الصواب، ولا أنا .

فلنؤجل هذه الندوة إلى ليلة أخرى.

* * *

الفصل السادس

الشيخ ياسين: كانت ابنته خديجة تهيىء أسلوباً ناعماً لتدخل منه إلى نفس أبيها وترويض تلك النفس الوحشية، وإعادتها إن لم تكن نفساً إنسانية فلعلها تكون نفساً هادئة تقرب من حياة الإنسان ويعيش مع أبنائه وزوجته.

خديجة: ظلت تضرب أخماساً في أسداس وتقول: أواه لو يسعفني القضاء فأنجح في مهمتي الشاقة الكؤود التي تحتاج إلى جهد جهيد كيف أستطيع أن أروض هذا الأب ونعيش معه كأبناء وتعيش أمي معه كزوجة؟ أعِنّي يا رب ساعدني يا إلهي أبي شحيح وطاغٍ يجمع جميع الخصال الشريرة ويؤسفني أن أقولها لعلي أأثم عندما أكون متحدثة بهذه الصفات وإن لم أطعه كنت عاقة له.

فاستيقظ والدها فدخلت له بمنديل وطست وإبريق لتغسل رجليه ويديه ووجهه بعد أن صحا من النوم، وبعد الغسل أخذت المنشفة بيديها ونشفت الماء وأدارت له القهوة وقدمت له أقداح الشاي لم يشعر الشيخ ياسين طول حياته بهذه العناية التي بذلتها

ابنته له ثم جاءت بالملابس فألبسته إياها وألبسته حذاءه.

خديجة: قالت له: يا أبتي تفضل واخرج على اسم الله إلى مكتبك وسوف تعود لنا بالسلامة، وأقول لك إلى لقاء آخر لا للوداع.

الشيخ ياسين: أحسَّ بروح تلاطفه فقال: يا ابنتي إنك عملت لي خيراً كثيراً وخدمة أسعدتني وأعادتني إلى أيام كأنها أيام شبابي، فإنني أشعر بحياة كلها نعيم وسعادة، ولكن لماذا قلت لي إلى اللقاء ولا أقول لك وداعاً ؟!.

خديجة: قالت له: إني أدعو لك بالعودة لنراك مساء وتجلس معنا على مائدة العشاء أما إذا قلت لك وداعاً قد يكون الوداع الأخير أو وداع العودة.

الشيخ ياسين: أكبر ابنته وقال: إلى اللقاء.

خرج الشيخ ياسين وهو يفكر كيف يقضي بقية حياته هل ينفق كما ينفق الكرماء، أو كما ينفق الذين يقترون على أهلهم، أو يظل كما كان عليه قفلاً على أهله لا يفتحه أحد ؟ تساوره أفكار تغيم على نفسه وأنوار تفتح له ذلك القفل الذي صعب فتحه على أحد إنني أشعر بحياة غير الحياة التي عشتها قبل أمس ولكنها تكلفني جهداً من المال مقايسةً لما عشته أمس كنت لا أنفق يومياً ما يعادل عشر ما أنفقه اليوم ولكنني أحسُّ براحة ونعيم، فماذا أصنع يا نفسي هل أضحي بهذا المال الذي جمعته من عرق الفقراء ودموع اليتامى؟

إنني في حيرة وفي شكوك مظلمة يبطنها ليل داج، ووصل المكتب وهو غارق في همومه السوداء وأهل القرية وقوف على مكتبه ليدفعوا ما يفرضه عليهم من إتاوة فقبض تلك الإتاوة، ولكنه لم يكن الشيخ ياسين أمس فوجد زواره ذهولاً على أسارير وجهه وحياة غير طبيعية.

لم يجرؤ أحد أن يتقدم له ليسأله عن ماذا بك يا شيخ ياسين؟ ولكنّ هناك شاباً جريئاً وقف وتقدم أمام منضدته.

الشاب: قال: يا عمُّ إني أراك اليوم تعيش في ذهول عميق فماذا أصابك؟ نحن نخشى عليك ونحبك فإن كنت محتاجاً لطبيب، أو مصح فنحن على استعداد لخدمتك، والذهاب بك، وأهل القرية كلهم تحت أمرك.

الشيخ ياسين: انتبه من ذهوله العميق فرفع رأسه لهذا الشاب، وكيف هذا الشاب استطاع أن يقف أمام منضدته ويجرؤ على هذه الجرأة ليسأله هذا السؤال، ولكنه تذكر مقولة ابنته فتراجع القهقرى منخفضاً، فقال للشاب: أشكرك، وليس بي شيء مما يقلق فغمر الزوار استغراب عجيب.

الشيخ ياسين: يتنازل من برجه العاجي فيشكر الشاب ويكلمه بعبارات لم نعهدها منه من قبل إنما هو طاغية يفترسنا كما يفترس السباع البشر، وانتهى الوقت وخرج الشيخ ياسين ليأمر الموظف المسؤول لديه بإغلاق المكتب ورجع إلى بيته.

خديجة: كانت تعرف الساعة التي يعود فيها والدها فاستقبلته عند السلم وعند وصوله أخذت يده وقبلتها ونزعت ملابسه وألبسته ملابس البيت وأخذت بيده وأجلسته ثم أدارت له أقداح الشاي ثم جاءت له بالماء ليتوضأ ويصلي.

خديجة: قدمت له مائدة العشاء وتعشت معه وبعد العشاء أخذت تقص عليه قصصاً ولمحات من التاريخ الماضي، وكيف كانت فيها العبر والتجارب.

الشيخ ياسين: قام إلى سريره لينام.

خديجة: لم تتحدث معه بشيء عن والدتها، وأضمرت ابنته في نفسها أن تزور أمها غداً عندما يخرج أبوها إلى مكتبه، فزارت أمها وجلست مع أمها سلمى لتخبرها ببعض التبدل الذي لم تشهده تلك الحياة مع زوجها وكيف سمح أبوها ببعض التغييرات على بيتهم وحتى في النفقة على معيشتهم.

وقصت عليها معاملتها مع أبيها في استقباله عندما يعود من مكتبه وخروجه.

سلمى: فأطرقت لحظات وأخذها العجب والاستغراب والدهشة وهزت رأسها وقالت : يا ابنتي لا أكاد أصدق أن يتحول أباك إلى حياة أبوّة حنونة تحمل أخلاقاً وعطفاً من دنيا قد تجمعت فيها كل خصلة غير مرغوب فيها، ولا سيما الشح فهو قفل لا يفتحه أحد ولا يلين لمخلوق فكيف استطعتِ أنت أن تبدلي هذه الحياة التي استمر

عليها وشاب، إنّ والدك هو في الخريف وليس في الربيع، فالغصن إذا هب عليه الخريف ذبلت أزهاره وتقصفت أوراقه، وقرب من الموت فلا تستطيعين أن ترديه إلى فصل الربيع الذي هو متعة الحياة هل أنت تحدثيني وأنت في حلم أم في يقظة؟

خديجة: قالت: يا أماه لا أكذب عليك فإنّ الكذب على الوالدين إثم عند الله يعاقب عليه، وإذا كنت في شك من حديثي فيسعك أن تأتي غداً البيت ولو ساعة واحدة في غياب أبي لتشهدي بأم عينيك واقعاً ملموساً وتبدلاً محسوساً.

***

عبد المعين: عندما حدّث زوجته بما أوصته به من نصائح شكرت ربها وقالت : إنّ هذا من فضل ربي حيث استطعت أن أؤثر على زوجي وأخضعه إلى الطريق الصحيح.

فقام عبد المعين فتناول مع زوجته مأدبة الغداء وأخذ قسطاً من النوم ثم خرج إلى متجره، وفي طريقه عرّج على أحمد فحيّاه في طريقه إلى متجره وعندما استقرّ في متجره جاءه أحد الموظفين لديه بتلكس يحمل نبأ محزناً أنّ إحدى بواخره التي تحمل بضاعة ضخمة غرقت ولم يُنتشل مما تحمله شيء بل هوت هي ببحارتها في أعماق البحر وفي ذلك الظرف لم تكن توجد شركات التأمين فكانت خسارة لعبد المعين ما كانت في حسبانه، فاسودت الحياة في آفاقه وغام الليل

على جوِّه ولم ينبس لموظفيه ببنت شفة.

فقام له أحد موظفيه وقال له: يا سيدي إنّ المال أنت الذي أوجدته ولم يوجدك فلا تكن أنت والزمان على نفسك أنت تستطيع بمشيئة الله وسعيك أن تخلفه ؛ أما إذا حزنت فلا يعود ما فقدته وتجمع على نفسك همّين المرض النفسي والمادي فنصيحتي لك أن تشكر ربك وأن تتصدق بما يمكنك الله فسوف يعود عليك ربحاً كثيراً.

عبد المعين : كأنه نائم فانتبه وقال لموظفه: أنا أشكرك على هذه النصيحة ولكنّ المال هو شقيق الروح.

وتذكر عبد المعين ما كان يعمله مع أحمد وبعض موظفيه فكأنه ندم وتأثر نفسياً وقال : لعل هذا عقاب من الله لما عملته مع أحمد فهل يقبل مني أحمد ما له من حقوق عندي، ويرضى عني ويعفو عما قمت به من أعمال سيئة وضرب واضطهاد وطرده من عمله بلا حقوق؟

عبد المعين: ظل يفكر وكان شغله الشاغل كيف يلج إلى أحمد ومن أي طريق؟ قال: سأجتمع بزوجتي وأعرض عليها ما ألمّ بي من حادث وما عرض لي من إرضاء أحمد حتى انتهى دوام متجره وذهب إلى بيته وطلب من زوجته الانفراد بها، فعرض عليها ما مر به.

درَّة: قالت له: المال أنت توجده ولا يوجدك فلا تأسف ولعل فيه خير لك، عليك بإرضاء أحمد وإنّ إرضاءه في إمكانياتك واستطاعتك اذهب له بنفسك واعتذر له على ما عملته فيه واطلب

منه الرضا وأقنعه بأي ثمن يريده حتى تتخلص من هذه الظلامة التي أعقبتها هذه المصيبة عبرة لك لأنّ الحياة كلها عِبر ولكننا لا نعتبر.

أحمد: لملم تلك الجروح وضمدها فعادت تجارته كما كانت بالأمس وأخذ يقيم المشاريع وينفق في سبيل الخير فطار صيته وصار مأوى للمساكين والفقراء لا يمر مشروع في بلاده إلا كان له دور في تأسيسه وبنائه، ومن الصدف أن يسافر أحمد في سبيل تجارته إلى إحدى الدول ليتعامل مع التجار وبعض الشركات هناك، فعقد معهم صفقات تجارية تعود عليه بالخير الكثير، فعاد إلى وطنه فإذا بابنه حسن أصيب بمرض خبيث، فحزن لأنه الولد الأمين الذي ترتكز عليه تجارته، فسوف يختل نظام تجارته فأرسله إلى خارج وطنه للعلاج، ولكنّ ذلك العلاج لم ينجح فنذر نذراً أقسم فيه لله عندما يشفى ابنه سيقيم مشروعاً خيرياً ضخماً، وبعد نذره استجاب الله دعاءه فشفيَ ابنه، وحقق ذلك النذر ونفذه على صعيد الواقع وغمرته الغبطة والسرور وحمد الله على ذلك النجاح الذي لم يحلم به لولا ألطاف الله ورحمته لما تحققت له هذه السعادة.

* * *

عبد الجبار: وبعد تفكيره العميق قال لأبنائه: قررت أن أتزوج من سعاد وأنا لا أستطيع أن أعيش بدونها فلا حاجة لي في الزواج من غيرها، لأنّ روحي عشقتها والحب الحياة والحياة الحب،

فالطريق للوصول إلى الزواج منها هو عن طريقك يا ابني فإنّ لديك من الحكمة واللباقة (وأرسل حكيماً ولا توصيه)، فعليك أن تقوم بهذا الدور الخطير وتقنعها بالزواج من أبيك.

الابن: أجابه أنا رهن إشارتك وسأخدمك بعيني وقلبي في سبيل إسعادك فأرجو من الله المدد والتوفيق.

فصار ابنه يبتاع الهدايا الثمينة ويقدمها لسعاد واستمر فترة من الزمن يسير على هذه المنهجية حتى جاءها يوماً بعقد من اللؤلؤ وقال لها: هذا من أبي هدية لك ليكون فاتحة الخطوبة وقبول الزواج منه، فأحسَّ منها برضاء مغلف في عبارة ليست صريحة إنما تشير إلى الرضا من شاطئ بعيد.

فخرج الابن من بيتها وذهب إلى والده يبشره بأن هناك بارقة أمل لعله يصادف الواقع، وبعد أيام عاد لها بهدية ثمينة، وقال بلهجة عاطفية: يا خالة متى أراكِ تديرين بيتنا، وهل يتحقق ما قلته لك.

سعاد: سكتت هنيهة فقالت: إذا أنت أصررت على زواجي من أبيك مع إخوانك لا أكون عليكم ظلاً ثقيلاً ممزوجاً بالبغض والكراهة لأنني سوف أحل محل أمكم فإذا أنتم رضيتم بذلك ولا تروني مزاحمة لها فأنا أرحب بذلك من أجل والدكم وأعينكم.

اذهب إلى أبيك وأخبره بالموافقة، وما هي إلا أيام وإذا بسعاد العاملة في ذلك البيت تصبح هي ربة البيت وهي التي تديره وترأسه

وهكذا الحياة تريك أحوالاً من العِبَرْ.

* * *

حمدان : عاد ابنه يحمل الماجستير وأخذ يبحث له عن عمل أو وظيفة فبقي عاطلاً لم يتحصل على عمل، ولو كان العمل انزل من رتبة شهادته ولكن ويا للأسف..! يضرب في صحراء قاحلة ويهتف بصوت يضيع صداه فلا يجيبه أحد.. أعامل الطائفية هو الذي زرع في طريقه الشوك وأبعده عن الوظيفة والعمل أم ماذا ؟!. فإنّ فهد ابن حمدان صار في حيرة يضرب أخماساً في أسداس لماذا يجيء من قبلي وبعدي طلاب خريجون جدد أقل مني شهادة فيتحصلون على العمل وأنا محروم ؟! لماذا هذه التفرقة التي فرقت المسلمين ؟! أليس يجمعهم رب واحد ونبي واحد وقرآن واحد والقبلة التي يصلون لها واحدة؟ ألا يتجهون إلى البيت الحرام خمس مرات يومياً؟ هل هذه التفرقة من صالح المسلمين إنما هي من صالح أعداء المسلمين الذين يقولون فَرِّق تَسُد ويزرعونها فتنبت أشواكاً تدمي أكفنا وأرجلنا ونعيش في أتون كلٌّ يحقد على الثاني ويقسموننا طوائف ليستولوا على ثرواتنا ويأكلوا خيراتنا متى نعود صفاً واحداً ونلغي هذه النعرة الجاهلية والطائفية البغيضة؟ أتمنى أن أرى أنفسنا صفاً واحداً نعيش عيشة واحدة ونموت موتة واحدة.

* * *

سليمان: استمر على وتيرته النقدية النارية وصار يتمثل :

دعوتُ على عمرو فلمَّا فقدته

وجربتُ أقواماً بكيتُ على عمرو

وكان يقارن بين العهد السابق الذي تبرم منه بالعهد اللاحق فيرى بينهما بوناً كبيراً وظلماً للشعب لا يقاس بالعهد السابق، وأراد أن يؤثر بمقالاته في هذا العهد الجديد ليطيح به بقلمه الذي يراه أمضى من القنابل وأفتك من الطائرات الحرف الذي يصل إلى أعماق النفوس ويكتشف أسرارها ولكنه لم ينجح في هذه المرة، وتعرض للاغتيال إلا أنه نجا بأعجوبة حيث أصيب بجروح خطيرة نقل على أثرها إلى المستشفى للعلاج وكان هذا الاغتيال يشبه الإنذار لخنق حرفه قبل خنق روحه لأنهم لا يهمهم الجسد عندما تتعطل حركته يهمهم حرفه وروحه التي تتفجر لهب قنابل وبراكين محرقة وتماثل للشفاء وخرج من المستشفى إلى بيته ليرتاح وانقطع في تلك الفترة عن كتابة المقالات واستجم في بيته.

* * *

يوسف: نجح في تجارته وترك الحركات البهلوانية وما فيها من ألوان السخرية به والضحك عليه، وأخذ ينفق على بيته نفقات تسعدهم فأحسوا بحياة غير تلك الحياة حتى رأوا أن نفوسهم غير تلك النفوس الذليلة الحقيرة التي شربت كؤوساً من مرارة البؤس

والحرمان فأخذ يوسف يفكر كيف يجمع رأس مال داود ليرده عليه؟ وإذا لم أضاعفه له كيف أصرف على بيتي وأستطيع أن أجمع ما أقرضه لي داود، فأرد رأس ماله عليه فصار يفكر ليلاً ونهاراً حتى قال لنفسه يا نفس لو بقيتِ على أدوارك البهلوانية لما انتابتك هذه الحيرة وهذا التفكير المتواصل الذي نغص عليَّ نومي وأكلي، فماذا أصنع هل أسلم له المتجر وما فيه وأعود إلى حياتي السابقة الذليلة الحقيرة أم أستمر في تجارتي ولعل الله يلطف بي فيمكنني من تسديدي ما منحت به من جميل؟ وأخذ يوسف ردحاً من الزمن في ألم وتفكير وهو يمارس تجارته.

***

زيد: عمل في تلك الورشة كعامل فني وأخلص في عمله برهة من الزمن ليدلل على إخلاصه لرب الورشة فقربه وأدخله في بيته وقدمه على العمال ورأسه عليهم، فحانت فرصة زيد لبثّ سمومه وتفرقته ليحطم حياته أيضاً مع حياة الآخرين لأن المجرم لا بدّ يوماً ما أن ينفضح وأن تنكشف لعبته التي يخفيها وراء الستار، فجاء إلى زوجة ربِّ الورشة فقال لها: إن زوجك يبحث عن زوجة أخرى لتكون ضرّة لك

الزوجة: قالت له: من أين لك هذا العلم وكيف تحصلت على هذا الخبر وأنت عامل عند زوجي في هذه الورشة ولا تعرف أسراره؟

زيد: قال بإخلاصي لزوجك ترقيت وصرت رئيساً على من يعمل في هذه الورشة، وتعرّفت على أسراره وصرت **كاتماً** لأسراره.

والمرأة حساسة فتمثلت ببيت عمر بن أبي ربيعة :

خبروها بأنني قد تزوجت
فظلت تكاتم الغيظ سرا

وعندما حان مجيء زوجها لم تستقبله ببسمة كما عودته بل استقبلته بغمامة سوداء وليل داكن.

رب الورشة: استغرب زوجها من هذا المنظر ولكنه لم يفاتحها وقال: ما أدري ما الذي أصابها؟ هل هناك خبر سيىء جاءها أم أصيبت بمرض وأخفته عليَّ، دعها حتى ينكشف لي ذلك، ولكنَّ الزوجة استمرت في حالتها النفسية وازدادت حالتها سوءاً ولم تكاشف زوجها ولم يكاشفها.

فعاشا في حياة جاحمة بدون ذنب بينهما أو خطيئة اقترفاها ولكنّ الحياة الزوجية لم تعد سماءً صافية كعهدها من قبل إنما هي أتون وحياة غير هنيئة تداف بالمرّ والأسى.

***

رمزي: وبدأ رمزي يعرض نظرياته السوداء على **محمد** فقال: يا أخي **محمد** نسيت أن أشرح لك بعض العلل التي يعاني منها هذا

المجتمع فهي أكثر أنواع الداءِ في مجتمعنا الذي تقسمه وتشتته الطائفية البغيضة والعنصرية، انتماؤنا إلى فئات دون فئات وإلى أحزاب دون أحزاب كل هذه العناصر داء يفتك بهذا المجتمع كما تفتك الأمراض الوبائية.. الأمراض الوبائية تفتك بالأجسام، أما تلك العوامل فهي تفتك بالبشر وتشتته ويعيش في حياةٍ مضطربة وتزرع الكراهية بين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه وبين الطوائف الإسلامية التي تنتمي إلى مذاهب مختلفة ففي رأيي هي أفتك من الأمراض، لماذا دائماً نعيش نحن المسلمون في نزاعات وقد خصمها القرآن وقال ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ..﴾ إلخ. وقال في سورة أخرى ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ فلا بدّ أن نتبع كتاب الله ونعمل به ولو اتبعناه وعملنا به لما كان بين المسلمين بغض، إنما يعيشون في صفاء كأنهم في بيت واحد ولكن يد الاستعمار لا ترغب في هذه الحياة حتى تفرقنا أشتاتاً لتتسلط علينا فتذلنا وتسلبنا كنوزنا.

محمد: قال له: أمّا هذه الناحية فقد جئت فيها بالصواب أنا لا أنازعك فيها أنا لا أتعصب لرأيي إنما كنت أخلفك في نظرتك الاستغراقية السوداء التي تنظر المجتمع البشري من زاوية سيئة أنّ هذا المجتمع البشري كله سباع يريد أن يأكل بعضه بعضاً وأنا أفرق لك وأضرب لك أمثالاً وأنت تصر على ذلك واليوم قد تشيع نصفك فجئتني بنظرة واقعية فمرحباً بك وبهذه النظرة.

الفصل السابع

سلمى: أخذت تفكر في ما عرضته عليها ابنتها من زيارة بيتها الذي كان فجر حياتها وفيه ابتدأت قصة زواجها وثمرة فؤادها، فهي تحنّ إليه حنين الزهر للطلّ في احمرار الصيف، ولكنها كيف تذهب وهي لا تملك نقوداً لتذهب عن طريق سيارات الأجرة ولا تملك وسيلة من وسائل المواصلات وتخشى أن تفاجأ بمجيء زوجها فتصطدم به وتعرِّض ابنتها للعقاب ولا تدري ماذا يصنع بها؟

فهي عهدته وحشاً ضارياً فتولَّد عندها تردد في الزيارة فصارت تقدم رجلاً وتؤخر أخرى. وأخيراً ضعف عزمها في ذلك اليوم للذهاب إلى بيتها السابق، وقضت ذلك اليوم في حيرة وتفكير وحتى جاء المساء لم تداعب عينها أصابع الكرى حتى الصباح، ولكنها تولد فيها عزم وإرادة حديدية، ولم تفكر في أي عاقبة تنجم من ذهابها في هذا اليوم إلى بيت زوجها.

خديجة: فوجئت بقدوم أمها فملأتها الفرحة وقالت : مرحباً بك يا أمي لقد أضأت بيتنا وبدّدت ظلمته ببسمتك الصغيرة الحلوة

وأعدتِ لنا ذكريات حلوة ما أحلاك في هذا البيت، وددت أن تعودي وتديري هذا البيت بأسلوبي الذي أدرته وفتحت قلب أبي على حياة جديدة، انظري هل تغير عليك كل ما في البيت؟

سلمى: قالت: نعم لا أصدق كل هذا عملته وكان من جهودك هل أنا في حلم أم في يقظة؟

خديجة: ضحكت وقالت: أنت في يقظة ولست في حلم ألا تشهدي بعينيك هذا التغير والتطور، وتناولت معها فناجين القهوة وأقداح الشاي حتى قربت ساعة رجوع زوجها.

سلمى: قالت لها: أستودعك الله أخشى أن أفاجأ بمجيء والدك فتقع لك مشكلة يصعب حلها عليكِ.

وجاء الشيخ ياسين من مكتبه.

الشيخ ياسين: في أمسية من الأمسيات كانت ابنته تؤلف قصة لتنفذ من كواها للعبور إلى قلب أبيها فتمسح عليه بما أتاها الله من كلمات معسولة لتلين قلبه وترجعه إنساناً حنوناً فتدخل والدتها في قلبه وعندما تناول مأدبة العشاء جلست معه لتدير له أكواب الشاي والقهوة.

خديجة: قالت له: يا أبتي لقد حليت سهرتنا وطاب مجلسنا، فهل لي أن أحدثك بقصة طريفة تجد فيها متعة وعبرة لمن يعتبر ؟

الشيخ ياسين: قال لها: يا ابنتي طابت حكاياتك فحدثيني، فحديثك لا يُملُّ .

خديجة: بدأت تقص قصتها كان في سالف الزمان تاجر كبير ذو أموال كثيرة ولديه من الأملاك والعقارات ما يعجِز الكُتَّاب في إحصائها وضبطها إلا أنه كان يقتِّر على نفسه وأهله، فكأنه فقير لأنَّ هدفه جمع الأموال فقط ولا يتمتع بها وسوف يتركها ويذهب عنها، وفي أمسية أخذ قسطاً من النوم فرأى كأن هناك ملكين جاءا إليه وعند كل ملك حربة من نار فوقفا أمامه فقالا له: ألا ترتدع وتنفق مما رزقك الله من ملكه وتوسع على عائلتك وإن لم تفعل فهذه الحربة من النار ستحرقك، فانتبه مرعوباً وجاء لأهله فقال لعائلته إني رأيت رؤية مفزعة وقد حولتني إلى حياة جديدة، سوف لا أكون عليكم قفلاً وسأبذل في سبيلكم كل غالٍ ونفيس، ودعا بابنه الأكبر فقال له: ضع قائمة لما تحتاجونهُ من أثاث تواكب حياتنا التجارية ومركزنا الاجتماعي ومن المأكولات ما تشاؤون، وجاء لزوجته بصورة خاصة وقال لها: ابتاعي لك من الأساور الذهبية والملابس الفاخرة الحريرية، ففتح لهم أبواب أمواله ليأخذوا منها ما يشاؤون ولم يمضِ على هذه الحياة الخصبة إلا عام حتى مات عنهم وورثوا ماله، ولكنهم شيعوه بالحمد والدموع الساخنة، وأذابوا قلوبهم في تلك الدموع يا هل ترى يا أبتي لو مات هذا التاجر على سيرته القفلية ماذا يكون مصيره عند أهله وعند قومه؟! يشيعونه باللعنات ويقولون لقد استراحت الأرض من شبح ثقيل وظل بغيض.

الشيخ ياسين: أطرق وأخذه التفكير العميق فرفع رأسه لابنته وقال: صدقتِ فماذا ترين في حياة أبيك وماذا يفعل؟

خديجة: قالت له: يا أبتي هل تأخذ نصيحتي ؟

الشيخ ياسين: نعم.

* * *

حمدان: جاء فهد إلى أبيه يبث شكواه بعد جهده الجهيد الذي أنفقه في سبيل أن يتحصل على عمل أو وظيفة في سلك الشركات أو الدولة ولكنه عبثاً حاول وعاد بخفي حنين.

فهد: قال: يا أبتي إنني أشكو إلى الله وأبث ما يعتلج في صدري لك لعلي أخفّف من هذا الكرب، فقص عليه قصته.

حمدان: قال لابنه: ألا تعرف السر.. إنّ السر واضح، هو اختلاف المذهب.. المذهب هو الذي زرع لك في طريقك الشوك وحرمك برغم شهادتك العالية من عمل تعيش منه وتبني مستقبلك، كأننا لم نعتنق المبادئ الإسلامية، وكأننا لم نكن مواطنين لنا حقوقنا الوطنية وعلينا ما على المواطنين، ولكننا نقولها لفظاً، أما التطبيق العملي فنحن بعيدون عنها كل البعد، وأردف حمدان يا بني إنني أتذكر مقولة ـ الشيخ محمد عبده ـ حينما زار أوروبا قال: (وجدت إسلاماً ولا مسلمين)، أما نحن فمسلمون ولا إسلام ما أصدق هذه الجملة التي تصور هذا البشر وتحلله، إنها صادرة من شخص عالِمٍ ومفكر يكره الطائفية، وحمل

معوله لهدمها لكنه ويا للأسف.. ! لم ينجح في هذا المجتمع، الذي لا ينجح فيه إلا الذي يخادع الجمهور، ويصطاده في شهواته وطرقه الملتوية، أَوَضَحَ لك السر يا بني أم تحتاج إلى مزيد من الشرح؟

فهد: قال: يا أبتي إنك أوجزت فأبلغت، وتحدثت فصدقت، وقد أقنعتني بذلك، ولكنني لا أستكين ولا ألين بل أنطلق كأني ولدت من جديد ولا أيأس والأمل الأخضر في عيني كشبابي سأستقبل هذا الظلام وهذه الغمامة السوداء بفجر يضيء في سماء حياتي، وأسعى من جديد لأحصل على عمل أو وظيفة، وسأسعى بكل الطرق لئلا أعيش عالة عليك يا أبتي أو على المجتمع، فقد روي عن الرسولﷺ.. (كِدَّ كَدَّ العبدِ)، فأعاهدك يا أبتي سأبذل جهداً ونشاطاً في السعي لأكون فعَّالاً في هذه الحياة.

***

عبد المعين: أخذ نصيحة زوجته وقرر تنفيذها، والذهاب لأحمد في متجره ففوجئ أحمد بدخول عبد المعين فألقى له التحية وهنأه بسلامة ابنه وبعد حديث طويل مهد للدخول في تقديم الاعتذار قال له:

يا أحمد أحببت أن أنزع ما في صدرك من ضغن عليَّ حيث أسأتُ إليك أيام كنت موظفاً لديَّ فأنا أعتذر إليكِ عن كل إساءة بدرت مني تجاهك واطلب مني أي ثمن ضخم يرضيك وما كان لك من أجور عندي أيام كنت موظفاً لديَّ وحقوقك، ولو اقترحت بنصف

ما أملكه لسلمته لك هنيئاً مريئاً في سبيل رضاك عني، وأن يكون رضاك رضاءً خالصاً لا يشوبه ضغن باطني، وأن يكون عن رضا خالص لوجه الله.

أحمد: استغرب كيف تحول عبد المعين ببساطة إلى هذا الدور الإنساني الذي لم يعهده فيه فأجابه :

لماذا هذا العرض المفاجئ أنا ليس لي حاجة في حقيّ الماديّ لأنك حرمتنيه وأنا فقير، إنما حقي عندك هو ما قمت به من ضربي وجرح كرامتي، ولم تشر إليها إنما أشرت إلى المال.. المال فانٍ وقد أغناني الله فلا حاجة لي في المال لأني لست من النهازين الطامعين الذين يتاجرون بكرامتهم.

عبد المعين: فوجىء بهذه اللغة الرفيعة إنّ هذا الشخص الذي كان فقيراً بعد أن أغناه الله يحتقر المال برغم الظروف القاسية التي مرَّ بها ومرَّت به، فهو يزهد فيما عرضت عليه ولا يقيم له وزناً.

عبد المعين: ردّ عليه: إذاً أطلب منك العفو إذا كنت أخطأت فيما عرضته عليك من مادة فأطلب منك العفو عما أسأته لك وجرحتك في كرامتك.

أحمد: كان جوابه بديهياً وسريعاً لقد عفوت عنك وجعلتها في سبيل الله وقد عوضني ربي بهذه النعم التي تراها وسوف يعوضني إن شاء الله بما هو خير في الدنيا والآخرة.

فخرج عبد المعين إلى متجره وهو يشعر بفرحة وغبطة ومرت عقارب الساعة عليه بسرعة وعندما حان انتهاء الدوام أخذ يسرع كالبرق ليبلغ زوجته هذه البشرى، فحدثها عما دار بينه وبين أحمد فأكبرته زوجته وقالت له: أرأيت كيف النفوس الكبار؟

أحمد: وبعد أن شفي ابنه أخذ يتوسع في أعماله التجارية ويقيم المشاريع الخيرية في وطنه ويمد يد المعونة إلى الفقراء والمساكين ولكنّ الدنيا لا يبقى سرورها ولا يدوم حزنها، ففوجىء ذات صباح بتلكس يخبره بغرق باخرة له ضخمة فلما قرأ النبأ حمد الله وقال لو كان لي فيها رزق لما غرقت، ولعلها فداء لما هو أخطر، ولم تعوقه وكأنّ هذه الكارثة لم تمر عليه، وقال لابنه ــ حسن ــ موضع سره قال له: لا تحزن إنّ أباك هو الذي أوجد المال بعون من الله ولم يكن المال يوماً ما يوجد الرجال ولو عرفت مبدأ حياة أبيك كان عاملاً بسيطاً عند عبد المعين التاجر المشهور بثمن زهيد في صباح ومساء أتعرض للإهانة وجرح الكرامة حتى منّ الله عليّ وأنقذني وأنت الخبير بهذه النِّعَمْ فهل أسليتك؟

* * *

سعاد: كانت بالأمس سعاد عاملة بسيطة تغسل أطباق المائدة وتلمع التحف فسبحان من يبدل ولا يتبدل، فسعاد من السفوح فإذا هي في القمم فهي اليوم ربة بيت تأمر على العاملات وتديرهم

وترتبهم في خدمتها وكانت ذكية لم يغرَّها هذا التغير المفاجئ الذي قلب حياتها رأساً على عقب فكانت تستقبل زوجها ببسمة تبدد غيوم تعبه وتمسح آلامه بأنامل بضة تداعب أحلامه، وتعامل أبناءه معاملة الأم الرؤوم فشعر الأب والأبناء بسعادة وحياة جديدة ما عهدها الزوج من زوجته السابقة ولم يعهدها الأبناء من أمهم، فقال أبناؤه هل هذه الخالة قامت بهذه الأعمال الحسنة لتسيطر على أبانا أَمْ تمهيد لزواج أحدنا بابنتها مستقبلاً؟ فقالوا سوف ننتظر ما يجيء به الغد.

سليمان: وبعد أن شفي جاءه أرباب الصحف الكبرى وطلبوا منه العودة إلى الكتابة في صحفهم، فإنه ذو قلم ساحر سيَّال يصور للقراء الحياة السياسية والاجتماعية، فأمهلهم مدة قصيرة ليعود حتى يجمع أفكاره وينشط ليعود شاباً في فكره وقلمه، ولم تمض إلا فترة حتى أرسل مقالاته إلى الصحف التي يتعامل معها وينشر على صفحاتها، ففوجىء القراء بعودة سليمان عندما قرأوا مقالاته وبدأ يرسل حرفه الناري ليحرق الذين يطغون على المجتمع ويسلبونه كل حق له.

واستمر سليمان في كتاباته حتى هُدد وأُرسلت له مبالغ مالية إغرائية، ولكنه رفضها وقال لا أريد أن أعيش عبداً أُباع وأُشترى بالمادة في سبيل أن أدوس مبدئيَ الصحفي الحر، وأكون كالصحافة التي تُباع وتُشترى، وأخسر مجداً يبقى خالداً في سبيل حطام يفنى، وأبيع فيه ضميري ووطني من أجل أن أتمتع أياماً قليلة، وواصل

مشواره وشوطه السياسي الصحفي. وأخذ يتحفظ على نفسه ويحيط نفسه بحذر وحراسة، خشية أن يتعرض لعملية اغتيال كما تعرض لها بالأمس ونجا منها.

***

يوسف: هكذا ظل تساوره نفسه أيعود إلى الحياة الذليلة الدنيئة، أم يبقى في حياة عزيزة. يكد من تعبه ويجني ثمار يده، فطرأ على تجارته فتور لأنه ضعف عن ذلك النشاط والحماس اللذين افتتح بهما حياته الجديدة التي بدأت تتألق لأنّ أفكاره ظلت تتصارع بين حياتين فهو يخطو خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف.

وأخيراً ذهب إلى الذي أحسن له، فحدّثه بما هو فيه من الصراع.. صراع الفكر الأسود والفكر الأبيض، وصراع الفكر العزيز وصراع الفكر الذليل.

داود: قال له: إنني أنصحك النصيحة وسبق لي أن قدمت لك تلك النقود، ولم آتيك في يوم من الأيام لأسألك عنها وماذا فعلت بها؟ فإذا كنت ذو نفس كريمة احرص على عملك الذي افتتحت به حياة تجارتك وقد تألقت، وبدأ يشرق فجرها وستجني ثمارها ولا ترجع إلى حياتك الذليلة التي يسومك فيها الأغنياء حياة الخسف والاضطهاد، ويجعلوك أضحوكة في ناديهم وسلوة يتسلون بها، ويقضون فراغهم بك وبحركاتك البهلوانية.

ألا تشعر بهذه الذلة وهذه الحياة الدنيئة هذه نصيحتي إليك فعد إلى حياتك التي فتح الله عليك بها وأمدك فيها بالخيرات.

يوسف: ظل في ذهولٍ من كلمات ذلك المخلص الذي منحه المال والنصيحة الفكرية الخالصة لوجه الله، ولا يريد منه أجراً على ما أقرضه، ولم يدخر عنه نصيحة، فعاد يوسف لحياته التجارية ونشط من جديد فبدأت تلك الحياة تتألق وتنتعش فصار يكسب الكثير من هذه التجارة وفي كل يوم يربح، وقال: إنني أعيش في عزة بعد أن كنت ذليلاً حقيراً.

* * *

زيد: ظل في دوره الشرير الذي يفرّق بين الزوج والزوجة وبين الأخ وأخيه وبين الولد وأبيه إلا أن رب تلك العائلة حانت منه فكرة وساورته خاطرة لماذا تغيرت هذه الزوجة وكان تغيرها مفاجئاً، وأنا لم أقترف معها خطيئة، ولم أعمل معها إساءة.. لماذا ؟!.

ربّ الورشة: جاء بزيد فقال له: هل لديك دواء يصلح العوائل إذا صار بينهم سوء تفاهم، لخبرتك الطويلة التي جربتها في خدمة العوائل وتنقلت من مدينة لأخرى فعرفت طبائع البشر وما يجدُّ عليها.

زيد: ارتاح لهذه الكلمات وحدثته نفسه أنه سيحصل على رتبة أكبر مما هو فيها، وعلى قرب يطمعه في حياة أفضل، فصور نفسه

أنه عالم بأسرار النفوس فقال له: يا سيدي ما هي الظاهرة التي تشكو منها في حياتك العائلية؟

ربّ الورشة: بدأ يقص عليه تغير زوجته، وما تعامله به من معاملة سيئة لا تليق بالحياة الزوجية، فكأنها بشرى جاءت لزيد فتلقاها بقلب مفتوح فكان كله سمع وفرح.

زيد: قال يا سيدي إن هذه الزوجة علاجها ودواءها هو عندي وإذا نصحتك به هل تطبقه؟

رب الورشة: قال: هل شخصت الداء حتى تصف الدواء ؟

زيد: قال: نعم إنّ النساء إذا لنت لهن قسون عليك، وإذا أكرمتهن تمردن عليك فلا يفيد فيهنَّ إلا الضرب والإهانة والسب.

ربّ الورشة: قال له لم تشخص ليَ الداء، وإنما وضعت لي فتنة في حروف مغلفة بهدم وتفريق، فأحس سيده منه بكيد بعيد إلا أنه لم يتحقق منه ويصدقه إنما كاد أن يكتشفه.

***

رمزي: قال: أرأيت يا أخي **محمد** كيف دلَلتُ لك وأوضحت لك هذه الظاهرة الاجتماعية التي يعيشها البشر، ويحطم مجتمعه بيده كأننا لم نكن أصحاب وطن واحد، ولا نشترك في مبدأ واحد، ولو لم نكن تجمعنا كلمة لا إله إلا الله، ووطن واحد ودين واحد،

لجمعتنا الإنسانية، وأحب هنا أن أشير إلى كلمات ندّت من شفتي الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر حين ولاه أميراً على مصر وزوده بذلك العهد الذي هو وثيقة ضوئية تضيء للبشرية عتمة هذه الحياة لو سار عليها، وقد وزعته الأمم المتحدة على دول العالم تطلب منها أن يطبقوه عملياً كدستور لدولهم لما فيه من عدالة يعيش بها الحاكم والمحكوم ولننقل منه: (إن لم يكونوا إخوانك في الدين فإخوانك في الإنسانية) فكفى بالإنسانية رابطة مقدسة تربط كل بشريٍّ حي بأخيه من البشر، ما أعظمها من دعوة إنسانية سامية، لو طبقت لائتلفنا وعشنا في سعادة ورفاهية وهناء من العيش، فكيف بنا إذا كنا أبناء دين واحد ووطن واحد، ولكنّ ذوي الأغراض الذين يرقصون على قبور الموتى في سبيل أن يتحصلوا على دينار يفرقون هذا البشر ويزرعون الطائفية هذا شيعيٌّ وهذا سني ويأتون إلى السنة فيقسموهم هذا حنبلي وذاك شافعي وحنفي ومالكي فيعيشون على هذا التقسيم ليحصلوا على حطام من هذه الدنيا، ولماذا لا يقولون إنّ مرجعنا هو الدين الإسلامي وكلٌّ بمذهبه قانع، وإنّ الدين عند الله الإسلام وكل مسؤول أمام الله هو الذي يثيب ويعاقب، أما الوطن فهو وطن الجميع والعدالة تقتضي المساواة بين أفرادها.

محمد: ارتاح لمقولة رمزي، وقال: يا أخي رمزي أراك انفتحت على فكر حضاري مضيء ولم يكن حجرياً منغلقاً كانغلاق الذين يظهرون في شكل يخدع الناس، وهم في شكل آخر بينهم وبين

أنفسهم، إنني أحب الشخص المنفتح الذي يسير مع تطور الحياة، ومع إشراقة الشمس في استقامة مثالية إسلامية يسير فيها على ضوء الهدى الذي جاء به النبي الخاتمﷺ، فمرحباً بك وبأفكارك هذه وأرجو من الله أن تظل على هذه الفكرة النيِّرة.

* * *

الفصل الثامن

الشيخ ياسين: بعد استماعه لنصيحة ابنته وتأثيرها في قلبه لأنها خرجت من قلب مخلص له، ولهذه العوامل أثرت فيه تأثيراً وقلبت مفاهيمه من مفاهيم قفلية وحشية إلى مفاهيم خلقية تتفهم سرّ الحياة وسرّ الأبناء وما يترتب عليها من أشياء عند طيف الغروب.

استيقظ صباحاً واغتسل وارتدى ثياباً فاخرة واستدعى ابنته وطلب منها وجبة غير الوجبات التي تقدمها له كل صباح ثم أعطاها صرة من المال وقال لها رتبي المطبخ ورتبي الثلاجة وابتاعي منها ما تريدين لبيتك الذي ستشرق فيه حياة جديدة وفجر مشرق.

خديجة: اغتنمت الفرصة عند هذه الكلمات وقالت أواه يا أبتي ولكنّ حياتنا ناقصة ولا تزال يُضبب أفقها ليل من الوحشة يبطنه كآبة وصمت مخيف.

الشيخ ياسين: لم ينتبه لما تشير إليه ابنته فقال : يا ابنتي لم يصل فهمي إلى إشارتك فإنك متعلمة مثقفة وأبوك يشبه الأمي فلا

يستوي مستواي ومستواك.

خديجة: أرادت أن ترفع معنويات أبيها وقالت: يا أبتي إنك بفكك للحرف ودراسة الحياة وتجاربها وصلت إلى أفق معرفة تضارع المثقفين، وأريد أن أشرح لك ما أشرت له، إن حياتنا ناقصة، ولا تتم إلا بعودة أمي لهذا البيت لتبدد عنك ببسمتها أتعاب الحياة وأشباحها المرعدة فسكتت.

الشيخ ياسين: صمت وتناول قهوته، وخرج إلى مكتبه وكله صمت.

سلمى: أخذها ليل من اليأس في عودتها إلى عشها لتحتضن أبناءها وتعيش معهم في عيشة هنيئة، فهي في كل لحظة تتصور فراغ أبنائها وتحسه، فكأنها تعيش في صقيع من الثلج.. لا تحس بحياة لا دفء فيها ولا حنان غير أنّ الآمال قد تداعبها فتعيش بين الأمل واليأس وقضت أياماً في هذه الحياة.

خديجة: كانت تزور أمها في خلسات وفترات، وهي تطمئنها وتقول لها ستعودين إلى عشك القديم وتملئينه فرحة وتعطرينه بحنانك.. حنان الأمومة، فلا حنان مثله ولا عطف كعطفه، وطمأنتها وحكت لها ما جرى بينها وبين أبيها ورأت منه صمتاً وهدوءاً لم يعد كالبركان الثائر أو الشيطان الطائر وهذه آمال تبشر بفتح جديد.

* * *

حمدان: استحسن رأي ابنه وشجعه ومده بطاقات تحيي الأمل في قلبه، وقال له يابني اذهب على اسم الله، وابحث لك عن عمل يرضيك ويرضي طموحك وبجهدك وسعيك سيوفقك الله، ويمدك بالنجاح.

فهد: خرج وغاب عنه مدة من الزمن ثم عاد إليه وقال إنني توصلت على أن أكون شريكاً مع أشخاص لنضع لنا رأس مال لنقوم بمشروع شركة لبيع السيارات بعد استيرادها من الخارج فما رأيك يا أبتي؟

حمدان : قال له: هل درست المشروع وهل عرفت الأشخاص الذين سيساهمون معك ويكونون شركاءك؟ فالأمانة يا بني هي الأساس.. الأمانة قبل المال وقبل كل شيء، فمن لا أمانة له لا عهد له.

فهد: صمت وقال: أنا لم أجربهم حتى أحكم عليهم.

حمدان: قال له: ألم تقرأ كلمات الإمام علي‬عليه السلام القصيرة الحكيمة النيِّرة التي تحتاج إلى شرح طويل يعجز عنه البلغاء، والفصحاء (أخبرهُ تقلُه) فعليك بتطبيق هذه الكلمات المضيئة التي تضيء لك عتمة الحياة وترشدك إلى طرقها السليمة.

فهد: خرج فبحث عنهم، فجاءه خبر يكشف حقيقتهم، إنّ هؤلاء الأشخاص دائماً يقومون بأساليب نصب واحتيال ليسرقوا أموال من يثق فيهم، فقال : إنّ نظرة والدي كانت ثاقبة، وتستكشف المستقبل بمنظار كأنه يراه، فرجع إلى أبيه فحدثه بما عرفه من واقع الأشخاص.

حمدان: قال له احمد الله على تنجيته لك، ولم تقع في هذا الفخ الذي نصبه لك هؤلاء الأشخاص.

* * *

عبد المعين: كان يتفقد أحمد في كل يوم ويزوره قبل أن يذهب إلى مكتبه ويتناول عنده في كل صباح فتجان القهوة، ويقول له هل أنت راضٍ عني، وأبريت ذمتي من كل جرح جرحتك إياه، فإني لا أريد أن أكون ظالماً لك لأنني استعبدتك استعباداً وأهنتك، فهل أنت مسامحي عن كل تلك الإساءات والإهانات؟

أحمد: قال له بأخلاق وأسلوب مهذب: لقد عفوت عنك يا سيدي ونسيت كل إساءة، وتركتها لوجه الله أريد الجزاء منه لا منك.

عبد المعين: شكره وخرج من مكتبه والفرحة تغمره من رأسه إلى قدمه، وذهب إلى متجره ليديره كعادته فقال في نفسه لو أهديت أحمد هدية ثمينة لكان لي خيراً، ولكنني سأعرض هذه الفكرة على زوجتي هل هي صالحة أم هي لا تليق بعد أن عفا عني أحمد، وعندما انتهى الدوام ذهب إلى بيته، وعرض على زوجته فكرته فلم تستحسنها.

درَّة : قالت له: لو نفذتها قبل مفاتحتك إياه وبعد مدة من الزمن ذهبت له لكانت فكرة واقعية.

أحمد: ظل يواصل تجارته ويلملم ما أصابه من نكبة في تجارته ويضمد هذا الجرح، ولم تمض برهة من الزمن حتى ضمّد ذلك الجرح وعاد لسيرته السابقة، وقال لابنه حسن: أرأيت كيف منَّ الله علينا عندما شكرناه وتقبلنا ما أصابنا بصبر ورضا، فإنّ الله يجازي عبيده وينعم عليهم بنعم كثيرة، وهذه كلها من ألطاف الله وليس من جهودي وجهودك، فعليك أن تسير على هدى مستقيم وفي طريق مستقيم وتنفذ ما أمر الله به من حق الفقراء والمساكين ولا تأكل حقوقهم لأنّ الله فرضها وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾.

***

سعاد: استمرت على حسن تبعلها وخدمتها لأبناء زوجها فكانت تستقبلهم بعناية فائقة وتحضّر لهم ما يشتهون من شهي الطعام تقوم بطهيه وتقديمه لهم، فعاشوا في غبطة وهناء.

وكان ـ عبد الجبار ـ يعطف على ابنتها ويعاملها معاملة البنت وكأنها من صلبه حتى بعد أن تخطت مراحل التعليم أدخلها الجامعة على نفقته، وكانت من الطالبات النشيطات التي تحصل على الدرجات المميزة بين زميلاتها الطالبات، فكانت دائماً هي الأولى على زميلاتها في الجامعة، وحتى تخرجت بدرجات هي علامات الشرف، ثم أخذت بعد ذلك تبحث عن عمل لها فلم تتحصل عليه، فقالت لعمها زوج أمها: أنت بمنزلة أبي وقد أنفقت عليَّ مصاريف

التعليم وقتلتُ وقتي في الدرس والمراجعة والمذاكرة، فماذا جنيت من ثماره أأجلس في البيت حزينة كئيبة لا أستعمل مواهبي فأفيد منها وأستفيد ؟

رباب: كانت أمها تسليها وتزرع في نفسها الأمل، سوف يسعى عمك لإيجاد عمل لك تستعملين فيه هذه المواهب.

وكل يوم يمضي تترقب رباب ابنة سعاد الحظ في حياتها لتحقق ما تطمح إليه، ولكنّ الأيام تمر بدون سحاب ممطر، وسمعت بمسابقة فتقدمت لها كزميلاتها، وجاء دور الامتحان فتقدمت فكانت هي الأولى في الاختبار، فارتقبت الوظيفة ولكنها عبثاً حاولت فوجهت سؤالاً للجنة الاختبار كيف توظفت زميلاتي اللاتي لم يكن مستواهنَّ في الاختبار كمستواي، وكان الجواب رمزياً وحتى همست لها إحداهنَّ السبب في إبعادك هو الطائفية، فجاءت لعمها باكية حزينة ومكثت في بيتها وظلت تعيش بين جدرانه الأربعة.

* * *

سليمان: وظل يواصل مشواره ويؤدي نشاطه الصحفي في منهجيته التي خططها لنفسه منذ كان في وطنه، ويعالج كل ما يراه في نظره فاسداً في المجتمع أو السياسة، فهو يكتب حسب رؤياه التي يراها تخالف الإنسانية، وواقع المجتمع الذي يسير عليه، وصدر منه مقال ينتقد فيه مجتمعه الذي يعيش فيه والدولة التي

لجأ إليها حيث رأى في نظرته اعوجاجاً فواصل الهجوم بعنف ولم يكن في حسبانه أن يُوقَف عن هذه المقالات، فجاءه إنذار يطلب منه أن يتوقف عن هذه المقالات وإلا سيطرد من هذه البلاد، فجاءه صديق فقدم له نصيحة أن يخفف ويتحول إلى أسلوب نقدي هادئ غير الذي يسير عليه، فأخذ بنصيحة صديقه واحتجب عن الكتابة مدة طويلة.

يوسف: وجمع له ثروة من المال وقال في نفسه: سأقتطع منه ما قدمه لي صديقي، وأضاعف المبلغ له جزاء لما أسداه إليَّ من معروف، وكان هو العامل في هذه الحياة السعيدة التي أعيشها الآن فذهب إلى صديقه وهو يحمل المبلغ الذي أقرضه إياه مضاعفاً وقدمه لصديقه وشكره فلما تبين لصديقه أنّ المبلغ مضاعف قال له: لا أريد إلا ما أقرضتك إياه وإذا أخذت زيادة عليه فقد أضعت ما قمت به من عمل المعروف والخير لأنني كسبت في قرضي إياك مصلحة مادية فأخذ ماله وأرجع له الزيادة.

***

جاء رب الورشة إلى زوجته وأراد أن يكتشف الظاهرة التي نجمت في حياته الزوجية وعكرتها من سعادة إلى شقاء ومن هدوءٍ إلى قلق، ومن حبٍّ إلى نفرة.

ربّ الورشة: قال لها إنني استشرت زيداً الموظف في ورشتنا

الـذي قربتـه ورفعتـه في مـا نجـم في حياتنـا الزوجيـة، فأشـار علـيَّ بأسلوب يهدم حياتنا الزوجية، ويضرُّ بها أضرَّ الأضرار.

الزوجة: تنهدت وقالت له سأرفع الستار عما نما في حياتنـا مـن أشواك قد زرعها زيد، فقصت عليه قصته من ألفها إلى يائها.

ربّ الورشة: قـال لهـا: كيـف أسدلت الستار علـى هـذه القصـة المؤلفة مدة طويلة التي خلقها من خياله ليحطم حياتنا الزوجيـة، ولكنني بفضل الله اكتشفته والآن أريد منك أن تعودي الى سيرتكِ الزوجيه السابقة، وأن هذا الضباب الذي تلبد في جوِّنا سوف يتبخر بريح الصدق التي تُقشِّع هذا الضباب فيشرق الفجر كأيامه السابقة ويظل فجراً حتى يطوينا الموت، وجاء لزيد فقال له: ألم أكرمك ألم أرفعك وأجعلك رئيساً، وأقربك في مكتبي وفي بيتي فجئت لتهدم حياتي الزوجية، فهل هذا جزاء من يكرمك؟ وقد قمت بروايات خيالية نسجتها بيني وبين زوجتي حتى ضببت الجو وعكرّت الحياة، فبعد اكتشافي لما تبطنه من خبث وظلام تحيكه فلا أريدك وهذا حسابك، واخرج ولا أريد أن أراك.

***

رمـزي: بدأ يصوّر نفسه كأنه خاض معركة دامية خرج منها منتصراً فقال: يا أخي **محمد** أرأيت كيف صورت لك الحياة وألمستكها كشريط سينمائي يتحرك بين عينيك، وتشاهد صوره حية

تعيشها واقعياً وأزيدك في نظرتي كيف نمت هذه الطائفية، وهذه الحزبية حتى أعادتنا إلى حياة لم يمر بها أو يعيشها الجاهلي قبل الإسلام لما كانوا في ليل دامس لا ضوء فيه؟ هل رأيت كيف هذه التفجيرات التي تقتل مجتمعاً بأسره فتقتل أطفالاً ونساءً ورجالاً، وتعيق مئات من الجرحى هل هذا من الإنسانية أو الإسلام فالأطفال اليتامى والنساء الأرامل التي هنَّ كثر أصبحن لا ولي لهنّ في لحظة تفقد أبناءها وإخوانها وزوجها بدون جرم اقترفوه، إنّ الطائفية لمعول بغيض يهدم المجتمع، والحزبية هي سلاح يعيش فيه الفرد الحزبي أعمى لا يبصر إلا ما يصدره له رئيس حزبه فإلى اليمين در أو إلى اليسار در أو الوراء أو الأمام فهو آلة صماء يديرها رئيس الحزب كيف شاء وأحبَّ وهذا بعض الداء الذي نما في مجتمعنا العصري فهو كالوباء يفتك بأهله.

محمد: قال: أشكرك يا رمزي على هذا التحليل الجديد وهذه النظرة الثاقبة التي انبثقت من واقع نعيشه ونشاهد فصوله فصلاً فصلاً ولكن ما الدواء لهذا الداء هل عندك دواء لعلاجه وأين الطبيب الذي يشفينا من هذا المرض؟

***

الفصل التاسع

الشيخ ياسين: ذهب إلى مكتبه وأصداء كلمات ابنته خديجة تدوّي في أذنه وقلبه ويلاحقه صداها، بيتنا ناقص لا تتم سعادتنا إلا بعودة أمي أهذه حقيقة أم خيال ؟ لم أعش مع سلمى عيشة الزوج مع زوجته في حياة كلها بسمة وهدوء إنما هي حياة مضببة بالليل مبطنة بالظلام كلها رعود وضجيج لم يمر فيها ساعة من الهناء عليّ أو على سلمى مسكينة سلمى..! أنفقت شبابها وعمرها في خدمتي برغم ما أكيل لها من الشتم والإهانة فماذا أعتذر لها هل تصفح عني سلمى ؟ هل تنجح مساعي ابنتي خديجة فتعفي عني سلمى وتحول حياتنا إلى حياة كلها نعيم وعطف؟

قضى فترة المساء في مكتبه وهو ذاهل كأنه في معركة فكرية أو تأملات نفسية حتى انتهى دوامه فأمر بإغلاق مكتبه وجاء إلى بيته لكنّ خديجة تعرف أسرار نفس أبيها فتركته تلك الليلة ولم تتحدث معه فهمس في نفسه لماذا لم تسألني خديجة عما دار بيننا عند الظهيرة من أقصوصة حياتي مع أمها عجيب إن هذه البنت لها

تطورات وأفكار لم أصل لها وأكتشفها، وبات الشيخ ياسين وأصبح الصباح وتوجه إلى مكتبه ولم تفاتحه ابنته تركت له ليالٍ ليتذكر فيها حياته الزوجية وإن لم يتمتع بها وحياة العزوبة التي يقاسيها الأعزب والعزبة يلمسون فيها حياة باردة لا دفء فيها ولا حنان وتنهش من استقرارهم وطمأنينتهم طيلة الليالي والأيام، ولا بسمة تبدد تلك الآلام التي تنسجها الحياة فظل الشيخ ياسين في دوامة من الأفكار ويزيده عجباً كيف صمتت ابنته خديجة عن الحديث الذي دار بينهما ألا تهتم بأمها ألا تحبها هذا غير وارد لو لم تحبها لما بدأت معي الحديث ولكنني أجهل السر في هذا الصمت وإهمال هذا الحديث.

سلمى: كانت ابنتها تزورها وتبعث فيها حياة جديدة وتزرع في قلبها الأمل الأخضر في عودتها إلى عشها القديم وإدارته أفضل إدارة وسوف تشعر بحياة زوجية هانئة ما رأتها منذ فجر زواجها حتى إهانتها وطردها من بيت زوجها، فعاشت على أمل شيق كصبابة مشتاق على أمل، ولكنه متى يثمرُ هذا الأمل، ومتى تجنى ثماره؟ كثيراً ما تتردد وتعود إلى أفق اليأس فتزورها ابنتها خديجة فتبعث فيها فجراً جديداً كأنها لم يبطن حياتها ليل داكن، خديجة لم أرَ سعيك فيه ثمرة أجنيها فأمك لا تزال بعيدة عنكم أواه كم أنا مشتاقة إلى أن أعيش بينكم وأستقبلكم ببسمة وحنان ورأفة ورحمة كل ما عاودني الأمل منك يفر مني كما يفر حلم من جفن نائم.

خديجة: تطمئنها وتقول: يا أماه اصبري فالصبر مفتاح كل سعادة ومن لم يصبر لم يظفر، فبمشيئة الله ستجنين صبرك وتنسين همومك وأتعابك التي عانيتِ منها زمناً طويلاً، فبشرتها بصباح جديد سيشرق في أفقها وودعتها وذهبت إلى بيتها.

سلمى: ظلت تعيش في حياة جديدة وبشرى تولدت لها من ابنتها فهي ترتقب ذلك الفجر.

***

حمدان: كان يحمل تخطيطاً في هذه الحياة ونظرات بعيدة تستشف له ما وراء الحياة فقال لفهد ابنه: كيف خططت لمستقبلك وعملت بعد فشل مشروعك الذي نجاك الله منه؟

فهد: قال لقد قرأت اليوم في إحدى الصحف المحلية عن بعض الوظائف أعلنت عنها بعض الشركات فسوف أذهب إليها وأتقدم بطلب العمل عندها، ونجح في اختبار الشركة ودخل في العمل فكان مثال العامل المخلص الذي لا يهمه إلا تأدية عمله كموظف ينتج للشركة ويزيد على وقته في نشاط وإنتاج.

فثابر فهد على ذلك مدة طويلة حتى استقال رئيس القسم وجاءهم رئيس منغلق العقل لا يعرف الإخلاص للشركة أو للنجاح إنما يريد أن ينفذ أفكاره الحجرية التي لا تنظر المجتمع بمنظار أبيض منفتح فأخذ يتحسس ويسأل عن الأشخاص، وما المذهب الذي

ينتمون له حتى حاز على معلومات قدمت له سواء كانت مغلوطة أم حقيقية فأخذ يضع العراقيل لبعض الأسماء ولا يرفعها ولا يبادلها في حسن عملها بالمكافأة أو ما يستحقونه من أجور إضافية حتى ضاقوا ذرعاً وكتبوا له كتاباً يشرحون فيه قصتهم ومعاملتهم وكان بينه وبين الرئيس السابق بون شاسع لماذا، ألم نكن مواطنين وتمثلوا له ببيت أمير الشعراء لأنه وافد وليس مواطناً فقرأوا عليه هذا البيت:

أحرامٌ على بلابله الدوح ؟!

حلالٌ للطير من كل جنس

فغضب وزاد في الاستهتار بهم وأخذ يضع لهم العقبات ويخصم عليهم من رواتبهم وأخيراً فصلهم من عملهم بدون حقوق هكذا الفرق بين إنسانية هذا الرئيس إن كانت له إنسانية وبين الرئيس السابق الذي يحمل إنسانية ووطنية لأنه وطني متأصل والرئيس الحالي وافد لا يهمه مصلحة الوطن إنما كل همّه أن يملأ جيبه ليعود الى بلاده فجاء فهد إلى أبيه يقص عليه قصته.

حمدان: قال يا بني لا تجزع من هذه المصيبة فالحياة كلها سلسلة مآسٍ ومصائب وسوف يعوضك خالقك بأحسن من هذا وسوف لا ينجو من ظلمكم فإنّ الله بالمرصاد إنّ الله يمهل ولا يهمل فتوكل عليه واعمل من جديد وأنا معك والله سيمدُنا ويوفقنا.

رباب : كانت تردد كلمة الطائفية وتقول لأمها إنّ هذه الكلمة ستزرع في قلبي جنوناً لأنني لم أعش في مجتمع كان يعرف

الطائفية أو يردد هذه الكلمة لأنني فتحت جفني في أفق إسلامي وأرى هذا المجتمع كله مسلماً لا فرق عندي بينهم وهم يعيشون على صعيد واحد ويؤدون الطقوس الإسلامية وتجمعنا كلمة التوحيد فلا بدّ من توحيد الكلمة أنا لا أدري يا أماه كيف ساقتني المقادير إلى هذا الامتحان فجوبهت بهذه الكلمة التي أثارتني وتركتني في حياة جاحمة لا أهدأ ليلاً ولا نهاراً لماذا أنفقت السنين في الدراسة إلا لأستعمل ما تحصلت عليه من معارف علمية وشهادات عالية في خدمة الفكر والوطن ولكن ويا للأسف أحبطتُ وأحبِطَتْ معارفي.

سعاد: هدأتها وقالت لها: يا رباب لا تيأسي فالحياة أمامك وسوف يشرق الفجر ويبدد عنك هذا الليل فتعيشين في حياة علمية تزاولين معارفك، وتعلمينها عندما تكونين أستاذة في الجامعة.

فمسحت سعاد عن ابنتها تلك الهموم وزرعت في قلبها صباحاً جديداً وأعطتها دفعة من النشاط تعيش بها وتعود به من جديد لطرق الأبواب لتتحصل على حياة عملية، وهكذا الأمهات اللاتي يعرفن كيف يربين الأولاد والبنات، فالأم مدرسة إذا أعدّها مربوها يتخرج منها أبناؤها على حياة خلقية وعلمية.

عبد المعين: وبعد نصيحة الزوجة لزوجها خرج وكانت تخامره أفكار تتزاحم على فكره وتتراقص أمام عينيه كيف كان فظاً غليظاً لا يحترم عماله لأنهم فقراء واضطرتهم الحاجة الملحة للعمل عنده

وقد جازاه الله وانتقم منه لهؤلاء المساكين الذين لا يملكون حولاً ولا قوة أمامه ويستعينون بخالقهم وكفى به معيناً فإنه معين كل ضعيف، ورأى من نفسه أن يقلع عن تلك الأخلاق ويعود إلى إنسان عطوف رؤوف لما مر به من تجارب وعبر شهدها كشريط سينمائي يتحرك أمام عينيه في صور مخيفة مرعبة عندما يفاجئه الموت ويقدِم على ربٍّ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة في كتاب إلا أحصاها فرجع من قريب وأبدل سيرته وصار يبحث عن موظفيه القدامى الذين هربوا منه وتركوا حقوقهم ورواتبهم لديه ليؤدي لهم حقوقهم فطلب من بعض موظفيه هذه الأسماء ليحضرهم عنده ويخبرهم أنه يريد أن يوفيهم حقوقهم ولكنه عندما طلب بعضهم لم يحضروا خشية من وحشيته وطغيانه التي عهدوها منه، وعبثاً حاول الإتيان بهم فظل في حياة صاخبة لا يهدأ له بال ويعيش ليله ونهاره في حياة قلقة ولا يتمتع بحياته الزوجية ولا يستلذ بدنياه ولا يقضي تلك السهرة مع أسرته التي يتمتع فيها بنعيم وهناء وطمأنينة، فقال لزوجته: ألا تضعين لي دواء بعد أن شخصتِ ما ألمَّ بي من الداء الاجتماعي الذي كنت أمارسه ولك الفضل في تبديل هذه الحياة إلى حياة هادئة مطمئنة ولكنها لم تتم حيث لم أوفق لإزالة ما بقي من أدرانها، وهو ظلم موظفيَّ فما المخرج وما الطريق.

أحمد: ظل يعمل في تجارته بهدوء واطمئنان وبرضا بما يأتيه الله من ربح ويسابق للخيرات ويوجه أبناءه وأسرته إلى الطريق المستقيم ويتصور أمام عينيه حياته حين كان موظفاً عند عبدالمعين

فهو يردد إنني لا أنسى تلك الحياة حتى آخذ منها عِبَراً وأتصورها وكيف خرجت من ذلك السفح إلى مجد القمة في بضع سنين لا تزيد عن الثلاث أو الأربع وإنّ إرادة الله فوق الإرادات، فهو يحدث أبناءه بهذه القصة، ويقول: يا أبنائي لقد قصصت عليكم مبدأ حياتي حين كنت عاملاً بسيطاً أتجرع الإهانات والضرب فصبرت فمنّ الله عليَّ بنعمه فعلى المرء أن يأخذ هذه الدروس ولا سيما أبنائي الذي كان أبوهم موظفاً بسيطاً إلى أن أصبح من أعيان التجار فليس هذا ببسيط ولكنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب فهذا من فضله وليس من جهودي، قد تستغربون من حديثي وقصتي التي أرددها دائماً عليكم لأنكم لم تذوقوا تلك الحياة ولم تشربوا من كأسها المرير وتعيشون في وهجها الجاحم فأنتم لم تشعروا ولم تمروا بها كما مر بها والدكم بتلك الحياة التي ملأها الشقاء والعناء فأنا أوصيكم بعدم الغرور والطغيان والعطف على المساكين ولا تتعالوا على الفقراء فتحل بكم نكبة وينتقم منكم جبار السماوات والأرض، وأخذ أحمد يعيش عيشة فاضلة يخطط فيها تخطيط المفكرين ويعيش في أخلاقه مع الفقراء عيشة الفقير ولم يتعال ولم يطغيه ثراءه حتى ازداد وتوسعت تجارته فكان ملجأ للضعفاء في بلاده ويقترض منه بعض التجار ولا يزال يعلو نجمه وتتوسع حياته ويقوم برحلات للخارج من أجل عقود تجارية يبرمها مع الشركات الكبرى لاستيراد البضائع إلى بلاده حيث استمر على تلك الحالة مدة طويلة.

سليمان: عاش في صمت رهيب يكاد يختنق منه لأنه لم يألفه وإلف حياة فكرية يجسدها في حروف ثائرة متحركة تعبر عما يجول في صدره حسب ما يراه من ظلم لهذا المجتمع، أو من تطاول الأغنياء على المساكين والفقراء، فهو يرى نفسه طبيباً يعالج جروح البشر ويضمد ما فغر من هذه الجروح في هذا المجتمع حتى قال يوماً من الأيام إن الموت خير لي من هذه الحياة لأنني مُتُ وأنا حي أي حيٌّ أتحرك بجسمي لا بفكري وروحي فإنَّ الفكر دفنوه وراء الثلوج فهو يعيش في صقيع قارٌ لا دفء فيه ولا روح وظل يناجي ربه كيف أعمل يا رب اجعل لي مخرجاً ينفتح لي منه باب لأعالج أمراض هذا المجتمع وأخفف من ويلاته ومصائبه أنا لم أخلق للصمت إنما أنا حيوان ناطق.. ناطق بالفكر فأصبحت اليوم حيواناً صامتاً لا يستطيع أن يعمل شيئاً..

يوسف: عاد إلى عمله وتجارته ولكنه برغم تقدمه وتوفيقه في هذه التجارة لا يزال يحنُّ إلى حياته البهلوانية ويحب أن يعود إليها ولكنه في صراع بينه وبين نفسه، فالنفس أمارة بالسوء ولكنه يتغلب على تلك الفكرة السوداء التي تحدثه وترغبه إلى حياته البهلوانية القديمة، وقال: أيتها النفس إنك شريرة وتجرين الإنسان إلى المهالك ما لم يعصمك الله ويهديك أنا لن أعود لتلك الحياة التي كنت فيها سخريّة من السخريات يزجون بي الأغنياء أوقاتهم ويعبثون بي كما يعبث الأطفال بالدمية، وكان يصيبه ذهول، ولمست زوجته فيه ذهولاً يغرق فيه ويشغله عنها وعن أسرته.

زوجة يوسف: قالت له: ماذا دهاك وماذا أصابك ألم يمنَّ الله عليك بنعمه وأنقذك من حياة وضيعة يعبث بك الأغنياء إلى حياة كريمة تعيش بها عزيزاً؟ ما لك أيها الزوج حدثني قص عليَّ ما أصابك؟

يوسف : اضطر ليشرح لها ما ينتابه من طيوف سوداء تحاول إرجاعه إلى حياته البهلوانية فيقف أمامها كالعاصف ليبددها ثم تعود إليه فما عندك من دواء لهذا الداء.

زوجة يوسف: قالت له: الدواء عندي إذا مرّت في حياتك تلك الأفكار والطيوف اذكر لها حياتك الوضيعة وحياتك الكريمة وقارن بينهما وزنهما فأيهما ترجح فإذا رجحت الحياة الكريمة على الحياة الوضيعة عليك بعصف هذه الأفكار وتبددها بشمس العزيمة وضياء الإيمان فشكر زوجته وأخذ بهذه الوصفة وعاد لحياته التي بدأها في التجارة.

***

زيد: خرج من عند رب عمله حقيراً مطروداً فرأى أنه لا يستطيع أن يعيش في هذه المدينة التي اكتشف فيها، فعليه التجوال إلى مدينة أخرى وهو يقول في نفسه إنني ضحيت بمركز مرموق ولكنّ نفسي لا تطاوعني إذا لم أقم بهذه المهمة لأنها تأصلت في جذوري ولو أُقتل في سبيلها فجاء إلى مدينة أخرى ليبحث عن عمل له والتقى ببعض العمال وعرض نفسه وقال لهم: هل لديكم سيد

لأعمل لديه فتكونون واسطة لي؟ فقال له شخص منهم: إننا نعرف تاجراً يبحث عن سائق خاص لبيته وأسرته فقال: إنني أجيد القيادة ومستعد بالعمل لديه فقال له: سأوافيك غداً بالخبر.

فجاء الغد فأخذه وذهب به إلى ذلك التاجر واختبروه وسلموا له قيادة السيارة وخططوا له العمل كيف يبدأ وإلى أي وقت ينتهي واتفقوا معه على الراتب، فبدأ يمارس عمله وهو يبحث عن مدخل ليدخل منه ليزرع فتنته لأنه لا يرتاح ولا يهدأ حتى ينفذ هذه المهمة ولو على قتله وخسارته التي مرَّ بها ومرت به، والتي أصبحت جذوراً من جذوره نبتت في طبيعته ونشأت مع حياته.

* * *

رمزي: بدأ بعد أن تأوه وقال يا **محمد** إنّ وضع البشرية أصبح كذئاب كلٌّ يريد أن يأكل الآخر فهذا المجتمع ينطبق عليه قول الشاعر :

رأيتُ الناس خدّاعاً إلى جانب خدَّاعي
يعيشون مع الذئب ويبكون مع الراعي

فإنّ نظرة الشاعر التي صورت هذا المجتمع في حقيقة ملموسة نشاهدها في كل صباح ومساء، ولا أعرف إلى أين ينحدر مجتمعنا ففي كل يوم ترذلون وقد طلبت مني أن أضع الدواء بعد أن شخصنا الداء، فلعل الوصفة التي تشفي هذا المجتمع هو الرجوع إلى

مبدأ الإسلام وتطبيقه عملياً لا قولاً هذا إذا كان مسلماً، وأما غير المسلمين فعليهم أن يرجعوا للإنسانية ويطبقوها عملاً لا قولاً وإذا لم يرجع هذا المجتمع ويطبق هذه الوصفة سينحدر أكثر فأكثر حتى تنطبق علينا الهاوية ونعيش في لجة تتقاذف بنا الأمواج وسوف تغرق هذه السفينة أو ننتظر قائم أهل البيت حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً.

محمد: تنّهد وقال: الآن يا رمزي حققت لي الحق وشخصت ليَ الداء ووضعت ليَ الحلول في وصفة دوائية إما هي أو الطوفان الذي يغرق مجتمعنا ويدمره وأرجو من الله أن نرجع للوصفة الإسلامية ونأخذ بها فنخرج من هذه الأزمة المظلمة كما يأخذ إخواننا الآخرون بوصفة الإنسانية ويطبقون العدالة فإنها هي الأساس، فنعود إلى حياة إنسانية تجمعنا كلمة سواء.

* * *

الفصل العاشر

الشيخ ياسين: هبَّ من النوم وتناول إفطاره وخرج على عادته ولم تفاتحه خديجة في موضوع أمها والبحث فيه وزاده استغراباً وخرج إلى مكتبه ولكنه لم يستقر حيث إن ابنته أثارت فيه ذكريات قضاها مع رفيقة صباه وكيف كان يعاملها معاملة قاسية غير مرضية وهي صابرة على تلك المعاملة وتعيش في ذلة وحقارة ولم تشكو يوماً ما من هذه المعاملة وضحت في سبيل زوجها وأبنائها وكان يريد أن ينطوي الوقت ليعود إلى بيته ويقابل ابنته ليرى ماذا ينبعث منها من جديد؟

عاد الشيخ ياسين فاستقبلته خديجة كما عوَّدته وتناول وجبة الغداء ودارت له أقداح الشاي، وخديجة تعرف مفتاح شخصية أبيها ومتى ترفع ذلك المفتاح لتفتح ذلك القفل فهي تدرس الأوقات المناسبة حتى تفتح ذلك القفل بمفتاحها الذي قبضت به على سرّ الشخصية.. شخصية أبيها، وكيف وصلت إلى أعماقه ودرسته فصارت تأتيه من الطريق التي تروضه وتفتح أبواب نفسه وجدت أباها مضطرب الأفكار تائه العقل.

خديجة: تقدمت له بلطف وقالت: يا أبتي لم أرك كطبيعتك بالأمس ماذا حدث عندك؟ حدثني لأشاركك في همومك كما نشاركك في أفراحك.

الشيخ ياسين : صمت صمتاً عميقاً ثم تنهد وقال: يا ابنتي لو حدثتك بما ألم بي من هموم هل عندك قدرة على مسح همومي؟

خديجة: أجابته على الفور كل شيء بيد اللّه ولكنّ اللّه يمد عبده عندما يقصد الخير بأخيه فكيف بأبي والإسلام يوصينا ببر الوالدين والإحسان لهما.

الشيخ ياسين: انفتحت أساريره وقال لابنته: يا ابنتي العزيزة كنت تحدثيني عن أمك وتريدين أن تضعي دواء على الجروح التي فغرت بيني وبين أمك حتى اضطررتُها الى ترك أبنائها وهي بعيدة عنهم وهم بعيدون عنها وكنت السبب في عامل التفريق بينكم وأنتِ فتحتِ لي حياة جديدة وبدأتِ تلملمي الجروح وتضمديها فلم أر منك بعد ذلك الحديث التقريبي لم تعقبي عليه بشيء ولم تنبس ببنت شفة.

خديجة: أجابته: كل ما أرغب فيه سعادتك وسعادة أمي وإخواني وأن نعيش في عشٍّ واحد تحت ظل سماء واحدة ونتشارك في هموم الحياة وفي أفراحها إن كان فيها فرح فإنّ حياتنا الأسرية اليوم غير منتظمة فهي متفككة لأنّ جزءاً من القاعدة غير موجود فالقاعدة الأسرية تبتنى على الأب والأم فإذا فقد أحدهما أو غاب أصبحت القاعدة ناقصة وغير هنيئة.

سلمى: كانت تعيش على لظىً وتحسُّ بفراغ عميق.. الفراغ الذي تركه أبناؤها وكل ما مرَّ الزمن زادت في ألم ذلك الفراغ وفجأة دخلت عليها خديجة لتحدثها بما دار بينها وبين والدها.

لكنّ سلمى لم تصدق ابنتها فطالما حدثتها بأمثال هذا الحديث وزرعت فيها الآمال ولكنّ هذه الآمال تتبخر من سمائها كما تبدد الريح الضباب المتلبد ولم يكن فيه مطر حتى ينبت الزرع ويخضر الأمل.

خديجة: ردت عليها إنّ هذا الحديث الذي مر قبل ساعات مع أبي لم يكن كالأحاديث السابقة أو كالحكايات الخيالية التي تنسجها العجائز عندما يحدثون أطفالهم ويهدهدونهم لأخذ قسطٍ من النوم إنما هي فجر جديد سيشرق في حياتك، ولكن والدي تعرفينه يحتاج لترويض طويل فصبراً يا أماه ستعودين غداً وإن غداً لناظره قريبُ.

سلمى: ردت عليها برغم الآلام التي أقاسيها من الفراق وبعدكم عني سأصبر حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

***

حمدان: بعد ما صبّر ابنه وزرع في نفسه الأمل وأعاد في روحه شعلة الرجاء ودفعة من العزم والقوة، وقال لابنه اخرج وابحث عن عمل يرضيك ويرضي طموحك وفيه كرامتك وعزتك ولا ترضى

بالهوان والذلة، وأنا أبحث من طريقي وسأبذل لك ما أمتلكه من إمكانيات معنوية أبذلها لأتوصل إلى عمل لك يرضيك.

فأخذ الوالد والابن يبحثان كل في طريق وبعد فترة من الزمن جاء حمدان إلى ابنه فهد وقال: لقد تحصلت لك على عمل في إحدى الشركات الكبار بواسطة شخص سيمهد لك الطريق وتتوظف عن قريب.

فهد: فرح لأنه يريد أن يعمل لنفسه ولبلاده ولا يعيش عيلة على والده وعلى الناس، ويحبُّ أن يساعد والده على جشب العيش.

وبعد فترة جاءه والده وقال له بعد أيام ستطلب للاختبار للوظيفة وأعطاه اسماً يذهب إليه في نفس الشركة فذهب فهد في يوم الاختبار فنجح فيه وقال له الوسيط ويدعى صبري.

صبري: مبروك عليك فقد نجحت في هذا الاختبار وسوف تكون موظفاً في هذه الشركة.

فهد: جاء لوالده يحمل البشارة وكله فرح وطمأنينة.

حمدان: بارك له أبوه وشكر الله وقال: إن شاء الله يكون لك هذا العمل أفضل وأبرك من العمل السابق حتى تبني حياتك وتؤهلها ويكون مقدمة لابتنائك بزوجة صالحة تلد لك أبناءً صالحين.

ظل حمدان وابنه فهد يرتقبان أن تبلغ الشركة ابنه لمباشرة عمله ولكنه بقي مدة طويلة فإذا الخبر يفاجئهم أنه وظف في

الوظيفة التي كان من الإنصاف أن يشغلها وظف فيها شخصاً آخر، فذهب أبوه للوسيط صبري، قال له: لا علم لي سأبحث عن ذلك.

وكان صبري منفتح العقل لا يحمل تفرقة بين مذهب وآخر وبعد بحثه الطويل خجل من أن يبلغ حمدان السبب الذي حرم فهد الوظيفة وأبعده عنها كان رئيس لجنة الاختبار ضيق الأفق متحجر العقل يزرع في طريق الشباب المنفتحين الشوك لأنهم يخالفونه في المذهب أو في العصرية والرجعية لأتفه الأسباب يحرمهم العمل ويبعدهم عنه فأخبر الوسيط صبري حمدان بذلك السبب الذي حرم ابنه تلك الوظيفة برغم نجاحه في الامتحان بعد أن تردد الوسيط صبري في نقل الخبر، وقال: إنني أخجل من هذا الشخص الذي حرم ابنك برغم ما فيه من مواهب تؤهله لاستلام ذلك العمل وجاء بما هو أدنى منه بمراتب كثر لا يستوي مع ابنك، ولكنني سأعمل على إيجاد عمل له سواء أكان في هذه الشركة أو في غيرها.

حمدان: شكره وقال له: يا ليت يوجد مثلك ثانٍ حتى يعمر الوطن وينمي طاقات الشباب فشكراً لك.

***

سعاد: كانت تقرأ الصحف اليومية التي تصدر في بلادها وتتبع الصحف وما فيها من أخبار، وقرأت خبراً في إحدى الصحف أنّ الجامعة الأهلية للبنات تطلب مدرسات وعينت الاختصاص وكان

ذلك الطلب ينطبق على ابنتها وجاءت لابنتها تحمل الصحيفة بما فيها من نبأ، وفرحت ابنتها وأعدت ملفاً فيه مؤهلاتها وسيرتها الذاتية وتقدمت لتلك الجامعة وحدّد لها الاختبار فنجحت فيه وبعد أيام وافقت الجامعة على أن تكون مدرسة فيها فزاولت عملها وقالت لها أمها: أرأيت عاقبة الصبر والجدِّ لو استسلمتِ إلى همومك وانتكاستك وقبعتِ في بيتك لتحطمت حياتك ولا أدري ماذا يعقبها من مرض نفسي يعقدك وتصبحين عضواً ثقيلاً على المجتمع يجب أن يبتر لأنه قد ينتج منه وباء ينتشر في هذا المجتمع فلتأخذ الفتيات من هذه التجربة درساً تسير عليه في حياتها.

عبد المعين: أعاد حديثه على زوجته فقال لها: ألا تناقشيني وأناقشك في حلٍّ يريح ضميري ويرسل لي الطمأنينة في حياتي أريد أن أعرف كيف الوصول إلى هؤلاء الموظفين الذين ظلمتهم لإنصافهم وإرضائهم، قال وكأنه آتٍ من معركة انتصر فيها وخرج يحمل سمة النصر.

أيتها الزوجة العزيزة لقد جاءتني فكرة مضيئة أضاءت ليَ هذه الطريق المظلمة.

دُرَّة: قالت له: ما هي الفكرة المضيئة؟

عبد المعين: قال: إنني أحمل في حقيبتي نقوداً وأذهب بها إلى بيوت موظفيَّ السابقين فأرضيهم بالنقود وأطلب منهم أن يسامحوني عن كل خطيئة أخطأتها عليهم فما رأيك؟

دُرَّة: قالت الفكرة جيدة ولكنك لا تذهب لهم بنقود لأنّ النقود فيها إغراء قد يقتلوك ويسطون على نقودك ولا تستفيد شيئاً فتذهب أنت ومالك ضحية لدراهمك، ولكنك تضع النقود لدى تاجر أمين وتكتب لكل موظف تحويلاً توقعه وتسلمه في يده، وتقول له اذهب للتاجر المعين لتستلم حقك منه.

عبد المعين: قال نعمة الفكرة لقد خططنا طريقةً جديدةً لأسلك منها فذهب إلى أحمد فقال له سأضع عندك مبلغاً من المال سأحوّل عليه وكل ما جاءك تحويل عليه توقيعي تسلم للشخص ما فيه من نقود.

أحمد: قال له سألبي لك طلبك وأخدمك بعيني.

عبد المعين: سلم له النقود.

ولكن أحمد لسمو نفسه كتب له وثيقة بالمبلغ الذي أودعه عنده للتحويل عليه لموظفيه ووقعها وقال: ضعها عندك لأنني لا أملك نفسي، فالإنسان مرهون بالموت وأخشى أن يفاجئني الموت فينكرك أبنائي وتبقى ذمتي منشغلة لك.

عبد المعين: شكره على هذه الالتفاتة وخرج منه وذهب يبحث عن عماله إلا أن في رحلتهم تلك لم يتحصل عليهم لأنهم في أعمالهم عمال بسطاء يخرجون منذ الصباح يكدحون في أعمال شاقة، ولا يعودون إلا بعد غروب الشمس، فأبلغ ذويهم أنهم ينتظرونه يوم الجمعة حيث عطلتهم.

وعاد عبد المعين فأخبر أحمد بما جرى حتى يكون على يقين وقال له لو سجلت في سجلاتك وأخذت مني هذا القبض لكان لنفسي طمأنينة، فإنني لا أشك في أمانتك .

أحمد: قال له سبق أن حدثتك أن الأمانة مسؤول عنها الإنسان في حياته وبعد وفاته سيسأل عنها وينقلب الخير عليه إثماً.

عبد المعين: خرج من متجر أحمد يشكره وعظم عنده حيث هذه الأمانة وهذه الالتفاتة.

أحمد: ظل يسير في حياته التجارية وفي أعماله الخيرية، إلا أنه فوجئ والإنسان دائماً في هذه الحياة يكابد وتوجه له سهام البلى والمصائب فلا يمر بحياة هنيئة إلا ويمر بشقاء مرير أكثر من ذلك الهنا وإن كان لا يدوم هذا السرور، ولا يبقى ذلك الشقاء، فكلاهما ينقضي ويبقى العمل الصالح هو الذي ينفع المرء في حياته وفي وفاته كان جالساً في متجره ففوجىء بخبر مرير ما هذا الخبر الموظفون مرتبكون ولم يستطيعوا أن ينبئوه بذلك الخبر الفظيع، الدموع حائرة مترقرقة في عيونهم والصمت هو تعبير بليغ أفصح من النطق عما ألمت بهم من مصيبة مفاجئة في ذلك الصباح، حسن جالس على مقعده في أحد متاجر أبيه وهو يتحدث مع الموظفين إذ عرق جبينه وصمت صمتاً وهدأت حركته وفارق الحياة لم يستطع موظف أن ينبس بهذا الخبر لأبيه وكيف الوسيلة إلا أن بعض الموظفين أسعفوه ونقلوه لإحدى المصحات القريبة من متاجرهم إلا أنه لم يفد الإسعاف ولا الطبيب انتهت حياته وحانت ساعة موته فلا دواء يفيد

ولا طبيب، فكان أحد الموظفين زكياً فطلب من الطبيب أن يتصل عن طريقه بوالد حسن ولا يفاجئه بالخبر المر ويأتي به إلى المستشفى وبعد أن يستقر يخبره بموت ابنه ففعل الطبيب وذهب بنفسه وجاء بأحمد فأخبره بوفاة ابنه ففوجئ أحمد مفاجأة هائلة حيث لم يخبر وقد مضى على وفاة ابنه ساعات وهو لا يعلم بهذه المصيبة وعندما علم بها أحمد عاد لربه من قريب وقال: هذه أمانة رجعت لربها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكلنا راجعون له والحمد لله رب العالمين، وهكذا النفس المؤمنة التي تصبر على قضاء خالقها فيثيبها ويعوضها بأضعاف مضاعفة لأنّ الله لا يضيع أجر عمل عامل من ذكر أو أنثى.

***

سليمان: ظل يسهر الليالي ويذرع بيته في الذهاب والإياب وبينما هو على تلك الحالة إذ انفتحت له كوى أشرق منها ضوء وهو أن يتقدم بطلب إنشاء صحيفة باسم زوجته ــ صفية ــ ويكون الطلب هي التي تتقدم به وتتابع الروتين الرسمي الذي يخولها إصدار تلك الصحيفة فجاء لصفية في فرح حيث الأمل يحدوه والطموح يسوقه فعرض عليها الفكرة وطلب منها أن تتقدم غداً بهذا الطلب.

صفية: تقدمت وبعد إنهاء المراسم الروتينية والنظامية سمح لها بإصدار صحيفة أسمتها دنيا المرأة، وصدر أول عدد منها

خاص بحياة المرأة فلاقى من القراء قبولاً، وكان له انتشار في الأوساط الفكرية والأدبية لمواضيعه المتنوعة التي عالجت تلك الحياة، وكانت من كاتبات، وكتاب مشهورين لهم دورهم في الفكر فهم في قمة الأدب، واستمرت الصحيفة تنحو في هذه الناحية، وفجأة طلع عليهم عدد يحمل مقالاً سياسياً بتوقيع رمزيٍّ إلا أنه لم يلفت انتباه المسؤولين للمدينة التي يعيش فيها سليمان فصار سليمان بين الفينة والفينة يدس مقالاً في تلك الصحيفة باسم ابن الشاطئ تارة وأخرى ابن الصحراء، واستمر على هذه الوتيرة ولم تكن مقالته كالمقالات السابقة التي تتفجر براكين لذلك مرت بسلام، وعندما استمر في تحريره المقالات بالطريقة الرمزية ورأى السرب آمناً ولم يعارضه الذئب اطمئن لهذه الفترة التي مرّت به ومر بها، فأخذه الطموح فكتب مقالاً يشبه مقالاته السابقة التي تتفجر ناراً من حروف، فتنبه المسؤولون لهذا المقال وقرؤوه بإمعان إلا أنهم لم يرتبوا على أثره شيئاً لأنهم ينتظرون ما وراء الأكمة.

وكان سليمان عاقلاً فترك فترة الكتابة في تلك الصحيفة ليرى ماذا يحدث، إلا أنّ طموحه أبى الصمت وظل يفكر فعاد، وكتب مقالاً إلا أنه خفف أسلوبه العنيف وجاء فيه بانتقادات هادئة فيها الغاية التي ينشدها، ولمّا صدرت منه عدة مقالات على منهجيته الجديدة اطمأن وقال لنفسه: سأكتب مقالاً فيه نار تشتعل على كل من يأكل حق المساكين والفقراء فكتب ذلك المقال وما إن وصل إلى

المسؤولين حتى قامت قيامتهم وطلبوا البحث عن كاتب هذا المقال وجاؤوا بصاحبة الصحيفة للتحقيق معها والطلب منها عن كشف الستار عن صاحب هذه المقالات، وبعد التحقيق الدقيق وصلوا لصاحب المقال فخيروا المسؤول عن الصحيفة بين أن لا يكتب سليمان بهذا الأسلوب أو تغلق الصحيفة وتوقف ولا تعود أبداً.

صفية: طلبت من المسؤولين الإمهال في التفكير وسوف توافيهم بإحدى الخيارين فجاءت لسليمان فعرضت عليه ما توصلت له مع المسؤولين حول الصحيفة، وقالت له نحن بين اثنتين كلتاهما النار ولكنني أختار أن تغير أسلوبك ولا تكتب هذه الكتابة حتى تستمر الصحيفة ونعيش منها ويكون لك أفق تتنفس فيه وتبصر الضوء على هذه الحياة.. الحياة الفكرية.

يوسف: واصل هذه الحياة التجارية ولم يحفل بتلك الأفكار السوداء التي تريد أن ترجعه إلى حياة الإهانة ومستنقع الذل، فمشى في حياته دون أن يكترث بتلك الأفكار إلا أن الحياة لا تصفو ولا تتم فلا بدّ أن يدكن جوّها وتنغص البسمة دمعة وتمتزج مع الفرحة ترحة وهكذا الحياة لا تتم ولا تكمل لحيٍّ مهما كان فنجم في جوه ليلة صارخة بالألم مفجعة بالبكاء حيث فوجئ بموت زوجته فجأة فكانت ليلته ليلة صاخبة باكية حزينة أهذه الزوجة التي كانت لي تسلية، وشريكة في حياتي لم تكن زوجة فقط إنما كانت موجهاً ومرشداً لي في دنياي، وتمحضني الحب والنصيحة والإخلاص فكان فقدُها كارثة عليَّ لأنها صبرت عليَّ وشاركتني في بؤسي وجشوبة

العيش ومرارته، ولكننا كلنا تحت أمر خالقنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فعاش يوسف في حياة كئيبة مبطنة بضباب الأسى ومرارة الفقد، كل ما جاء بيته تجرع من كأس فراق زوجته، ورأى أشباحها تطوف بين عينيه.

زيد: ظل يبحث عن مدخل له لأنّ النمام والمفتن لا يستطيع أن يعيش بدون أن يزرع بذوره ويجني شوكها بيده ويهدِّم ذلك المجتمع المتآلف، إنّ حياة النمامين والمفتنين لا إخاء لهم ولا عهد لا يستطيعون أن يعيشوا بدون أن يقوموا بتنفيذ مهمتهم الدنيئة، وهنا ظل زيد يفتح له كوى ليدخل منها، فأخذ يتحسس عن حياة هذا التاجر، وعن أصدقائه ومن تجمعه بهم علاقة وبعد بحثه الطويل عرف أنّ هذا التاجر له ربط وصداقة بأحد مسؤولي هذه البلاد، فقال هاهنا السر فاقبض عليه فجاء للتاجر فقال له: أنا رهن إشارتك وأنا أحمل ثقافة وتفكيراً، فإذا أردت زيارة أحد الكبار أو إرسال رسالة لهم أو أية حاجة تعرض لك فأنا مستعد لتأدية هذه الخدمة ورهن أمرك.

رمزي: جاء إلى محمد فقال: إنه نمي لي خبر فظيع أما سمعت به.

محمد: قال حدثني عن هذا الخبر حتى أعرف أنه نمي لعلمي أم لا.

رمـزي: بـدأ يقـص علـى **محمـد** قـال: إنّ في هـذا اليـوم عـدة ممرضـات تقـدمن للتوظيـف بإحدى المـصحات واختـبرن عـن طريـق لجـان محايدة لم تكـن مـن الـوطن إنمـا هـي أجنبيـة، فكـان موقفهـا موقفاً علمياً إنسانياً فنجحت الممرضات لأنهن يحملن شهادات عاليـة ومميـزات فأوصـت اللجنـة بهـنّ إلا أن أحـد المـسؤولين فى ذلـك المستـشفى اسـتدعى أحـد موظفيـه فقـال لـه: الـغ تـوظيفهنّ وإذا ساعدتهنّ ستفصل وسوف نـأتي بممرضـات مـن الخـارج لا ربط لهـنّ بهـذا الـوطن، فقـال لـه: تـسمح لي أن أسـألك سؤالاً؟ فقـال لـه: نعم قال: أتعرف لماذا فُصلنَ؟ للطائفيـة التي تميـز بـين المـواطنين، فقـال له **محمد**: يا رمزي لقد قرأت هذا الخبر في إحدى الـصحف اليوميـة ولكنني ما كدت أصدق حتى أكد لي هـذا الخبـر وأنت أكدتـه لي إنّ هذه الطائفية هـي التي تزرع في حياتنـا التفرقـة والبغض بيننـا فمتـى تموت هذه الطائفية وندفنها وراء أنقاض التاريخ فنعيش إخواناً؟

رمـزي: قـال لـه: إنـك صدقت يا **محمد** ولكـن أحـب أن أسـألك ألـسن هـؤلاء الممرضـات مواطنـات لهـن حق أن يعـشن وأن يتنـسمن هـواء الوطن وأن يشربن من مائه ويعشن على ترابه؟

محمد: قال له نعم ولكن الواقع غير الذي تقول، فمتى نستيقظ من هذا السبات ونعيش في صحوة وطنيـة لا تفـرق بـين أبنـاء الـوطن فهم يعيشون في مقياس واحد والتقدم لمن له مؤهل على الثاني.

***

الفصل الحادي عشر

الشيخ ياسين: أخذ ينتظر ماذا يجدُّ له الغد هل وراء ليله فجر مشرق وحياة باسمة أم يغطي سماء حياته ليل مبطن بشقاء وألم، ماذا؟ لا يعلم ذلك إلا الله، وجلس مع ابنته خديجة ليديران الحديث حول الحياة وما فيها من هموم.

خديجة: نفذت له من هذا الباب وقالت له: يا أبتي حتى متى تبقى أعزب ونبقى نحن بلا عش نأوي إليه، فالأم هي عش الحنان وحضن الأبناء والأب ظلٌ يقينا من وهج الحياة وآلامها وشرورها، فلا تزال كما حدثتك القاعدة منفصمة حتى تعود أمي فنعيش في عيش رغيد وبيت سعيد فما أحلى الأسرة إذا التَّفت تحت ظل القاعدة وعاشت تحت حنان هذه القاعدة التي لا يوجد على وجه هذه البسيطة أحنُّ وأرأف من الوالدين، فمتى نشرب من كأس ذلك الحنان لأنّ الحياة فرص والفرص قد لا تعود أو قد تتقلص وتنتهي.

الشيخ ياسين: قال لها: صبراً يا خديجة، فإني سآخذ بكلامك وسأرجع أمك عن قريب إلى هذا البيت.

خديجة: فرحت وكادت أن تطير من الفرح والغبطة ولكنها تنتظر الفرصة لتذهب إلى أمها لتبلغها بقرار أبيها.

ومنذ خرج والدها إلى مكتبه ذهبت إلى أمها وأنبأتها بما دار بينها وبين أبيها، وما انتهت معه على أن تعود إلى بيت زوجها.

سلمى: قالت لا أصدق ففي كل يوم تنبئيني بنبأ لا أرى له ظلاً من واقع الحياة إنما هو خيالات وتخدير لأمك لتخففي من ويلات الفراق لأبنائها، وتضمدي جروحها.

خديجة: ردّت عليها منذ دار الحديث بيني وبين أبي حول عودتك ما سمعت منه صريح القول إلا في هذا اليوم بالحرف الواحد قال سأعيد أمك إلى هذا البيت في القريب العاجل، وهذه كلمات ما سمعتها منه قبل هذا اليوم، فأنا أنقل لك الحقيقة وأبشرك بتباشير خير ولِدَت في سمائنا، وسوف تضيء لنا في حياتنا عندما تجتمع أسرتنا.

سلمى: كان جوابها أنا لم أقتنع، ولكنني أدعو الله أن يحقق هذه الأمنية ونلمسها بأيدينا ونعيشها :

منىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى

وإلا فعشنا بالمنى زمناً رغدا

ومن لا أمل له لا حياة له.

***

حمدان: ظل وابنه فهد يسعيان، ويبحثان عن عمل لابنه حتى تدرُّ عليهما نعم الحياة وتبتسم حياتهما فجاءهما الواسطة صبري الذي تعاون معهما وشكره حمدان.

صبري: قال لحمدان: دع ابنك يتقدم غداً وسمى له الشركة وقال له: هذه الشركة عملاقة فيها أفق واسع وليس في موظفيها من الذين تحجرت عقولهم وعشعشت في قلوبهم الطائفية، وأرجو من الله أن يعينك وابنك وسوف أساعدكما وأتكلم مع المسؤول ليسهل على ابنك الطريق، وابنك عبقري ذكي يجتاز الاختبارات مهما كانت عصيبة.

فهد: تقدم إلى تلك الشركة حاملاً ملفه وما يؤهله من مؤهلات فاجتاز الامتحان وبقي ينتظر الجواب لتوظيفه في تلك الشركة.

* * *

سعاد: استبشرت بنجاح ابنتها وما زودتها بها من دروس صبر على هذه الحياة لأنّ الحياة العصرية أصبحت معقدة، وفي كل يوم تزداد تعقيداً، فأخذت تلاحظ ابنتها وترعاها في ذهابها وإيابها وتتبعها في خطواتها لأنّ المجتمع أصبح غير أمين فهي تخشى على ابنتها من أن تحيط بها الذئاب البشرية فتفترسها.

رباب: أظهرت في الجامعة نشاطاً منقطع النظير وكان لها تقدير مميز امتازت به في الجامعة بين زملائها الأساتذة ونجمت مشكلة في الجامعة بين المدرسات والمدرسين وتدخلت رباب بلباقتها

فحلت تلك المشكلة وعاد الصفاء بين زملائها وزميلاتها، فجاءت لأمها سعاد لتنقل لها هذه البشرى وما وصلت له في هذا اليوم من إصلاح كاد يهز كيان الجامعة، ففرحت أمها واستبشرت ودعت لها بالتوفيق والنجاح.

* * *

عبد المعين: ظل هو وأحمد يسيران على منهجيتهما السابقة لإرضاء موظفيه السابقين ولكنهم خافوا من بطشه وظلمه، ولم يتقرب منه أحد.

* * *

سليمان: امتثل سليمان وخضع لهذه الضغوط فصار يكتب بأسلوب هادئ مغلف بأسماء رمزية المقالات التي تصدر في كل أسبوع في الصحيفة، وكانت هذه المقالات هي غذاء لانتشار هذه الصحيفة وتزاحم الجمهور على شرائها وقراءتها، لأنهم عشقوا هذه المقالات بدون أن يعرفوا من هي له، إنما عهدهم كان سليمان يكتب باسم مكشوف لا يغطيه ضباب ولا ستار، فهم يتكهنون بأنّ تلك المقالات هي صادرة منه، وهو مضطر لذلك لما مر بصحيفته من إيقاف وتعطيل وتعرض للسجن والتسفير فهم يعشقون تلك المقالات ويحبونها وينتظرونها بفارغ الصبر، فسار سليمان على هذه المنهجية إلا أن الطبع يغلب التطبع فكتب مقالاً نارياً كما هي عادته سابقاً فمر هذا المقال بسلام وعاد مرة أخرى بعد فترة وبعد صدور

أعداد متوالية لينشر ذلك المقال الثاني، فجاء لصفية إنذار يهددها بإيقاف الصحيفة وإغلاقها نهائياً وغرامة مالية.

صفية: ذهبت بذلك الإنذار إلى زوجها، وقالت: يا سليمان أنت شريكي في الحياة، ونحن في حياة مستقرة هادئة مطمئنة فلا تهدمها ولا تزعزع أركانها وتهدمها، فالأفضل أن نغلق الصحيفة إذا أردت أن تسير على ذلك أو أخيّرك بين اثنتين أن لا تكتب فيها أو تكتب كمقالاتك السابقة التي أسلوبها هادئ، ولا يثير الحس السياسي.

سليمان: قال لها إنّ طبعي غلب تطبعي، فماذا أصنع دعيني أنتهي من هذه الدنيا خير لي لأنني لا أعيش إلا في هذا الجو الثائر الذي يرسل الحمم على الظالمين، وينبت في طريقي الشقاء والدمار.

صفية: تركته وذهبت لتفكر وتأتي له بعد حين حينما تهدأ أعصابه ويسكن تفكيره.

***

يوسف: ظل يزاول تجارته وعمله غير أنه لم يعد بذلك النشاط والحيوية فيوم يعود له النشاط ويزاول تجارته بجدٍّ ونشاط ويوم يتذكر زوجته، فتضبب الحياة في عينيه فتنتشر عليه ظلمة من الكآبة والحزن فيخرج ليفتح متجره ولكنه يرجع قافلاً إلى بيته وفي عينه دمعتان لا يكاد يطيق الحياة فأصبحت همومها طيوفاً تلاحقه وتتراقص بين عينيه كلما جاء بيته ودخل غرفة نومه فتذكر حياة

زوجته وأيامه السعيدة التي قضاها معها، إنها ذكريات حلوة ولكنها انقلبت إلى شقاء ومرارة ويأتي يوم فيقوى فيه عزمه ويقول: كلنا سائرون لما صارت إليه الزوجة فينشط ويمارس تجارته وحياته بتفاؤل وجدٍّ واجتهاد وهكذا يوسف قضى حياته بين الجزر والمد يمضغ أحزانه تارة.. وتارة يبسم للحياة.

***

زيد: وكان سيده ورئيسه وثق فيه وكانت له زيارة لهذا الصديق المسؤول فاصطحبه معه وقدمه له إنّ هذا الشخص موظف عنده وكان ذكياً وعلى خلق وعارف بطبيعة عمله ومؤدباً، وفي يوم من الأيام أرسله سيده بهدية لهذا المسؤول فاغتنم الفرصة ليحيك قصة خيالية على رئيسه فيقول إن سيدي يعمل ضدك وضد الدولة.

المسؤول: قال لي: ما دليلك؟

زيد: قال لأنه يتصل بأحزاب مناوئة للدولة ويعمل معهم وهو يتظاهر بحبك وحب هذه الدولة ولعله يعمل على نقلك أو إبعادك.

المسؤول: تأثر تأثراً تاماً حيث إن رئيسه قدمه في صورة رائعة فما كان لهذا الموظف أن يتهم رئيسه بهذه التهمة الخطيرة إذاً فما يقوله هو صحيح، ولم يتحقق هذا المسؤول، ولم يبحث عن هذه التهم التي قدمها زيد له فمنذ الصباح الباكر أرسل للقبض على التاجر.

زيد: أغلق المتجر وطردت جميع عماله وسيق التاجر للسجن والتحقيق.

التاجر: ظل في السجن أكثر من شهر لم يوجه له سؤال ولم يعرف من أين جاءه البلاء، فكان يعتز بصديقه السابق المسؤول فكتب له رسالة وشرح فيها ما كان معه، وهو يعرف اتجاهه ومشربه لم يكن يوماً ما سياسياً أو حزبياً أو طائفياً أو عنصرياً إنما هو رجل مواطن مخلص للدولة، ولهذا المسؤول وللصداقة التي تربطهم يرجو منه التدخل وشرح ما كان يعرفه منه ولم يدر أنّ صديقه هو الذي ألقى القبض عليه وزجه بالسجن.

***

رمزي: التقى بمحمد على منهجيتهما في اللقاء كل ليلة يسهران ويقضيان السهرة بالتحدث عن هموم المجتمع البشري وما يشاهدانه في مجتمعهما من ألوان الصور المتناقضة.

رمزي: بدأ وقال يا أخي **محمد** إنّ المجتمع البشري انحدر انحداراً هائلاً حتى وصل إلى مستنقع.

محمد: رد عليه، يا رمزي ماذا سمعت وماذا حدث؟

رمزي: ردَّ عليه أما قرأت اليوم في الصحف كيف عمل الإرهابيون في هذا اليوم فقد قاموا بتفجير سوق شعبية كلها من

طبقـة الفقـراء والنسـاء والأطفـال والمساكين فمـا ذنـب هـؤلاء أهـم يحاربونهم لأنهم قـابعون في أكواخهم ويخرجـون ليبتـاعوا مـا يزرعونه ويحـصدونه ويعـودون بمـا يحتاجونـه مـن زاد وأكـل، فمـا الحـل لهـذه الظاهرة التي لم تمر حتى في العصر الجاهلي وكان العصر الجاهلي إذا تشاجر شخص مع شخص قُتِل ذلـك الشخص وقد تكون قتلته إثارة لقبيلة مع تلك القبيلة فما أصرع أن يتدخل المصلحون فيطفئون تلك النار التي أوراها بعض المتطرفين، ما عدا حرب البسوس هي التي طالت واتسعت، ولهذا أصبح في ذلك العصر يضرب بها المثل ولو عاشوا لهذا الزمن لهانت حرب البسوس وما عادت يضرب بها المثل لأننـا نعيش في عصر التطور عصر الحاسوب عصر الكهربـاء عصر العولمة .. عصر العلم بكافة معانيه، فسلاح صغير بمقدار الذرة يدمر لهم مدناً ويميت زرعهم، فلا ينبت فيه زرع ولا تنمو فيها حياة.

محمد: قـال يـا رمـزي كـل هـذه المآسـي والمصائب أصـبحنا نـشاهدها في كل يـوم حـتى ألفهـا النـاس وأصـبحوا لا يـستفظعونها ولكن ما الحل لذلك؟

رمـزي: قـال: لعل الحل في أن تعلم النـاس الثقافـة الإسـلامية الصحيحة لا المشوهة لا التي ليست من الإسلام بل هي دخيلة عليه، فالإسلام دين المساواة ودين التسامح ولم يأت يوماً ما بهذه الفكرة الجهنمية بل هـو يتعامل مع خصومه ومع الكفـار تعـاملاً إنسـانياً لا مثيل له فيأخذ من الكافر الجزية فيعيش في وطن الإسلام آمناً على دمه وماله وحقوقه ولا يتعدى عليه أحد هذا هـو الإسـلام، أما من

يدمر الآمنين فليس هذا من الإسلام بشيء ولعلَّ الحل الثاني هو أن يعدل حكام المسلمين في أوطانهم ويزرعون الحب والمودة بينهم ويربونهم تربية ثقافية يعيشون بها ويبصرون طريقهم.

محمد: أجابه: لعلك اكتشفت الداء ووصفت الدواء هذه حلول ناجعة ومفيدة لو طُبقت، وأرجو من خالقي أن يهدينا ويبصرنا لما فيه خير لهذه الأمة فنطبق هذه الوصفات فنعيش سعداء.

* * *

الفصل الثاني عشر

الشيخ ياسين: قضى دوامه في مكتبه وعاد إلى بيته وتناول وجبة الغداء ودخل إلى غرفة نومه ليأخذ قسطاً من النوم ولم يفاتح ابنته في الحديث الذي مر بالأمس بينهما وظل هذا الصمت بينهما يدور طويلاً.

خديجة: لا تكلم أباها.

الشيخ ياسين: كأنه لم يدُر بينه وبين ابنته ذلك الحديث الذي انتهى فيه إلى قرار نهائي.

خديجة: كانت ترتقب أن يرسل سيارة لتقل أمها وتكون بصحبتها فيزفونها كعروس يجلُّوها لأبيهم فتطوف الفرحة في سماء بيتهم وترتفع الزغاريد من حناجرهم واستقبال هذا العش الحنون في هيئة عروس وفي يوم عيد.

فضاقت ذرعاً خديجة بهذا الصمت وبطول هذه المدة التي قربها لها أبوها ولكنه أسدل الستار على ذلك الحديث ونسيه أو تناساه لماذا أبي تحول عن رأيه وانقلب ولم يحدثني؟ وفي ذات ليلة

من الليالي وهي تدير له أقداح الشاي قالت له: يا أبتي سأتجرأ على مقامك الأبوي وأستنبئك خبراً سبق أن أخبرتني به وقررته وهو رجوع والدتي إليك لتعود الحياة لمنبعها الصافي ونعيش في حياة سعيدة هانئة ولكنك لم تعد تتكلم حول هذا القرار ولم تنفذه وأنا أجهل السر في ذلك والعوامل النفسية لذا استنبأتك هذا السرّ فهل لك إلى أن تحدثني؟

الشيخ ياسين: أجابها في غد إن شاء الله سأنبئك وأتحدث معك وأرفع لك الستار عن هذا السر.

سلمى: ظلت تنتظر ذلك الحلم الذي يراودها في آفاق نفسها في يقظتها ونومها وفي صباحها ومسائها وعندما اجتمعت بابنتها قالت: أيتها الابنة العزيزة متى يتحقق هذا الحلم الذي فر من أجفاني، ولم أر له عودة إلا في الخيال، أما في اليقظة فلا يزال سراباً، والسراب لا يقبض عليه، ولا يفيد صاحبه شيئاً.

خديجة: صمتت كأنها تبحث عن شيء فُقِدَ منها، ونكتت أصابعها في الأرض ورفعت رأسها إلى أمها وفي عينها دمعتان، وقالت: أيتها الأم الحنونة التي لا شيء عندها أغلى من أبنائها في الحياة، إنك ترتقبين هذه الساعة، وأنا أشاركك هذه الآلام، والانتظار أشد من القتل، ولكنك تعرفين أبي وطبيعته الدكتاتورية التي لا تخضع لا لزوجة ولا أبناء، ويرى نفسه في برجه العاجي لا ينزل، فيعيش مع أبنائه وزوجته على بساط الديمقراطية، ولكنني

روضته من هذه الحياة وذللتُ من صعوباتها ولو رأيتهِ لرأيتِ فارقاً ما بين السماء والأرض وأنا باذلة الجهد في لمِّ أطراف هذه الحياة الأسرية، وغسل تلك الجروح لتلتئم وتعود طبيعية لا نشاز فيها وأرجو من الله النجاح في مهمتي الصعبة لأني أواجه في جمع هذه الأسرة عقبة كؤوداً تعترض في طريقي، ولا أريد أن أشرح لك ما أقاسيه إنما عليَّ أن أعمل وأطلب منك الدعاء لنجاحي.

سلمى: شكرتها، وقالت لها: يا ابنتي أنا دائماً أدعو لك بالتوفيق ولكنّ الحياة تمر مرّ السحاب أو مرّ الضوء فكل يوم يمضي من عمرنا يقربنا إلى طيف الغروب وما نحن عنه ببعيد فما أدري متى تجتمع هذه الحياة الأسروية وتنتظم في عقد واحد.

خديجة: ردت عليها صبراً يا أماه.. صبراً يا أماه والصبر مفتاح الفرج.

***

حمدان: إلا أن ابنه فهد لم يتلق جواباً بالسلب أو بالإيجاب.

فهد: ذهب إلى والده ليخبره بأنه مضت فترة من الزمن طويلة لم يتلق فيها جواباً.

حمدان: ذهب إلى الوسيط صبري فاستغرب وهز رأسه.

صبري: قال لحمدان: إنني عملت لتوظيف ابنك بما أملك من جهد وطاقات، ولو كانت الأمور تسير في مجراها الطبيعي لما احتاج

ابنـك لواسـطة أو لـشيء آخـر، وقـد خرجـت مـن تلـك الـشركة أنهـا موافقة على أن يعمل ابنك لديها وسوف يصدر القرار لتوظيفه ويبلّغ بمباشرة العمل فكيف لم يبلغ حتى اليوم، سأذهب للشركة وأسأل مسؤول التوظيف عن تأخير تبليغ ابنك وأوافيك بالخبر .

حمدان: ظل ينتظر رد الواسطة عليه فلم يرد عليه صبري وأخذ يتهرب منه حتى لقيه وجهاً لوجه، فقال له: أيها الصديق العزيز أنا أتعبتك وكلفتك فوق طاقتك لأنك لا تعمل في هذه الشركة وإنما كنت واسطة خير وساعي معروف فماذا وراءك من أنباء؟

صبري: صمت وكأنه غصّ بالكلمات فقال له: نحن نعيش في عصر ليس عصر القرن الواحد والعشرين إنما نعيش في العصور الوسطى المظلمة التي عاش فيها الإنسان على مبادئ الجهل لا يعرف أين يعيش وكيف يلبس وكيف يطبخ أكله، فحياته تشبه حياة الوحوش نحن رجعنا القهقرى إلى تلك العصور أفهمت ما أقوله؟

حمدان: قال: لعلي فهمت ولكنني أريد الإيضاح لعل الخلاف المذهبي والطائفية هما يلعبان دوراً.

صبري: قال: لقد قبضت على السرِّ والداء في الوقت نفسه هذا هو الداء الذي يفتك بمجتمعنا كأنّ ابنك لم يكن مواطناً له ما للمواطنين وعليه ما عليهم.

حمدان: شكره وجاء لابنه لينقل له الخبر الفظيع، بالنسبة إلى حياة ابنه وطموحه وشبابه المتألق.

فهد: قال له: ماذا أصنع ليتني لم أدرس ولم أحمل هذه المؤهلات وعشت جاهلاً أمسِّح السيارات أو أكون حمالاً ينقل الحاجات إلى الأغنياء؟

حمدان: سكّن من روعه، وقال له لا تيأس وابدأ من جديد وأردف له حمدان وأنا بدوري سأبحث لك عن عمل لك يرضي طموحك، والمرء في هذه الحياة ستزرع في طريقه أشواك وليست الحياة كلها ريحان فاصبر إنّ الله مع الصابرين.

***

سعاد: أخذت تحذّر رباب ابنتها من حياتها المستقبلية في الجامعة عندما وفّقَت في هذه المهمة الشاقة الإصلاحية، وقالت لها سيرد عليك هذا العمل الإحساني مبغضين وينبت لك حاسدين يزرعون في طريقك الشوك ويبنون العقبات ليدمروا مستقبلك وفي الأخير لا يهنيهم ولا يريحهم حتى تُفصلي من هذه الجامعة وتُحرمي من عملك.

رباب: لم تصدق ما قالته أمها وظنت أن قول أمها هو من باب العطف والشفقة، والخوف عليها، فعطف الأمومة لا يقف عند حدّ ولا يصور ولا يسبر غوره، فلم تأخذ رباب بتلك النصيحة وذلك الدرس الذي ينظر إلى الحياة المستقبلية كما ينظر الألمعي إلى ما وراء المستقبل.

فحسدتها بعض زميلاتها على هذا النجاح الذي ظفرت به فصارت حديثاً حسناً بين الطالبات وبين الأساتذة، فغارت إحدى المدرسات فأسرَّت في ضميرها أنها سوف تكيدها وتبعدها عن هذه الجامعة لتدفن من هذا التقدير الذي تشاهده في كل صباح عند دخول الجامعة وحتى انتهاء الدروس، فالطالبات يقدرنها ويأخذن برأيها والمدرسات يعظمنها، فافتعلت تلك المدرسة التي أخذتها الغيرة من رباب فافتعلت منشوراً ضد الدولة ووزعته في تلك الجامعة ورفعت خبراً سرياً أنها شاهدت رباب توزع هذا المنشور في صفوف الطلاب وفي مكاتب المدرسين والمدرسات، فألقي القبض على رباب، وهي لا تعرف من أين جاءها هذا البلاء، هي لم تقم بشيء يخالف السياسة أو ضد المسؤولين وحتى ضد الجامعة ومدرسيها سبحان الله لم أفتعل ولم أعمل شيئاً إنما سرت في طريقي الإصلاحي والإنابة إلى ربي فهو الذي ينجيني وعندما أُجري معها التحقيق لم يثبت عليها ما اتُهِمَتْ به ولأنها لا تعرف من الذي حاك لها هذه التهمة تحت ظلمة ظلام الليل، وبعد البحث الطويل فوجئت بأخذ زميلتها وأُلقي القبض عليها والبغي يصرع من زرع البغي لغيره وببراءتها ذهبت إلى رئيسة الجامعة تطلب منها التدخل والتوسط في سبيل إطلاق زميلتها، وهي ترسل الدموع وتقول هذه أم ولديها أطفال من ذا يربيهم ومن ذا يرعاهم؟

رئيسة الجامعة: قهقهت وقالت لها: ألا تعلمين من ذا الذي اتهمك ورماك بتلك الفرية؟

رباب: قالت: الله أعلم ولا أتهم أحداً من زميلاتي فكلهن يحببنني ويقدرنني .

رئيسة الجامعة: رفعت الستار وأخبرتها بأنها هي التي أوقعت بها.

رباب: قالت لها أشكرك فقد زدتني إيماناً بالله لذلك أتوسل لك بالله وبرسوله أن تقومي بالوساطة لإطلاقها رعياً لأطفالها الصغار، لئلا يضيعوا.

رئيسة الجامعة: قالت هكذا قلبك الطيب.

رباب: ردت عليها من أساء لك وأحسنت له عوضك الله بخير أحسن منه، أما من أحسن إليك فأحسنت له فلا فضل لك وإنما تردين إحساناً بإحسان.

فانتهى الدوام وذهبت إلى أمها تخبرها بما دار بينها وبين رئيسة الجامعة ورفع الستار عن التي أوقعت بها.

سعاد: هنأتها على هذا الموقف النبيل وقالت لها: سبق أن حذرتك وأحذرك اليوم وآمل أن تأخذي نصيحتي باجتهاد وجدّ فالخبرة التي نكتسبها من الأيام أضعها لك على طبق من ذهب في كتاب مفتوح تقرئين حروفه في كل صباح ومساء.

***

عبد المعين: ذهب إلى موظفيه الذين كانوا يعملون لديه سابقاً للبحث عنهم، فعندما يرى شخصاً لا يكاد أن يسلم عليه، ويقف

بعيداً عنه ولا يقرب لسيارته، فيناديه من بعيد اذهب إلى ـ أحمد ـ وخذ حقك ولا تخف، ولا تمر بي وهكذا اتصل بهم جميعاً.

العمال: جاؤوا لمتجر أحمد واحد بعد الآخر واستلموا حقوقهم وهم يدعون عليه ويطلبون من ربهم الانتقام منه.

أحمد: يهدئهم ويقول لهم: كنت أعمل معكم وقد عفوت عنه وطالما أقبضكم ما لكم من حقوق فاعفوا عنه فإنّ الله يحب العفو عن عباده.

العمال: يشتاطون غضباً، ويقولون: أنسيت يا أحمد كيف فعل بك وبنا؟

أحمد: قال لهم: لقد مضت تلك الحياة وأراحكم الله فنشكره، وعلى كل حال اتركوا التحامل عليه واتركوه لله إن كان ظلمكم ولم تعفوا عنه سينتقم الله منه في الدنيا والآخرة.

العمال: قبضوا حقوقهم ومضوا.

فوجىء أحمد بأن التاجر عبد المعين أصيب بحمّى ونقل إلى المستشفى، ولكنه لم يأبه بما عنده من وثيقة تتضمن المبالغ التي أودعها إياه لتسليمها إلى عماله السابقين مع إصرار أحمد وأنه لا يأخذ من عبد المعين وثيقة تحفظ لأحمد حقه وتحميه مستقبلاً من دعوى ورثته.

أحمد: زار عبد المعين في المستشفى فشكره، ولكنّ أحمد خجل ولم يطالبه بإرجاع سند القبض.

عبد المعين: دخل في غيبوبة وصار لا يشعر بشيء من الحياة وطالت عليه هذه الغيبوبة قرابة عام.

وظل أبناؤه يلعبون بتلك التجارة الواسعة ويفسقون بها في المنكرات وفي المحرمات حتى هبط رصيدهم فصار التجار يطالبونهم وبينما هم يفتشون في الدفاتر القديمة لكي يعيشوا من ديون أبيهم من أموال ديون والدهم الغابرة وجدوا تلك الوثيقة وهي سند القبض التي أودع المبلغ والدهم عند أحمد، فجاؤوا له بتلك الوثيقة يطالبونه بما فيها.

أحمد: شرح لهم القصة وما دار بينه وبين والدهم.

الأبناء: لم يقتنعوا وأصروا.

أحمد: قال لهم عندما رأيتم والدكم يشبه الأموات قمتم بهذه الدعوة الكاذبة عليَّ.

الأبناء: أصرّوا ورفعوا عليه مرافعة بالمحاكم.

أحمد: الوثيقة بخط يده، فماذا يصنع، ولكنه قال: إنني عملت خيراً ومن يعمل الخير لا يبالي ماذا يلاقي من بلاء في المستقبل، وإن كنت عملته لوجه الله فسوف ينجيني، وإن كنت عملته لإرضاء عبد المعين فالويل لي.

***

سليمان: تناول قدحاً من الشاي وهو يكتب مقالاً انبعث من

إحساسه وتذمره الثائر الغاضب فكان من أشد مقالاته الثورية التي لا تطاق ولا تحتمل.

صفية: أبلغت الصحيفة أي مقال يأتي من أي جهة لا ينشر ولا يقدم للطبع إلا بعد العرض عليها والإشارة منها لنشره أو عدم نشره، لأنها المسؤولة أمام المسؤولين.

سليمان: أكمل مقاله وأرسله إلى الصحيفة كما هي عادته ومن حسن الصدف أن يقع المقال في يد زوجته إذ لو ذهب للمحرر لذهب إلى النشر لأنّ سليمان هو زوج صاحبة الصحيفة، وكان هو المنشئ لها قبل أن تكون لزوجته فيتصورون لا يحتاج لمراجعة أو إذن إنما هم يظنون أن هذا التحذير يشمل جميع الذين ينشرون في هذه الصحيفة ولا يشمل سليمان هذا الأمر.

صفية: قرأت المقال فرأت فيه ثورة عارمة لا طاقة للصحيفة لنشرها وعندما تنشر فسوف يزج بهم في السجن، وبعد السجن الطرد والتسفير من هذه البلاد، فاستدعت المسؤول عن النشر وقالت له: أي مقال يأتيك ولو كان من سليمان لا يتم نشره إلا بعد العرض عليّ فجاءت صفية إلى البيت، وكأنها لم يمر عليها شيء، أو لا تعلم شيئاً وحتى صدر العدد.

سليمان: قرأ العدد وهو يبحث عن مقاله فقال: سبحان الله هل أنا أصبحت أعمى لم أبصر حروف الصحيفة؟ فأخرج نظارته ولبسها وصار يبحث عن المقال ولم يجده بين صفحات الصحيفة

فألقى بها وهو غضبان ينتظر متى تأتي زوجته، وعندما جاءت زوجته كان كالبارود انفجر أمامها وسبها وبصق في وجهها.

صفية: قالت: يا سليمان لقد خرجت عن حدودك الإنسانية لو كنت عبدة لك لما عملت ما عملت أنا لم أعمل إلا في صالحك وصالحي وإذا كنت تريد أن تعيش معي بهذه السيرة فأنا أستودعك الله وأترك البيت لك وأعيش في دار صحيفتي ولك عليَّ أن يصلك أكلك وكل ما تحتاجه ولكنني لا أستطيع العيش معك ولو كنت أجازيك بما عملت معي في هذا اليوم لطلبت منك التسريح ونهاية حياتنا الزوجية ودفنتها ونسيت الأيام التي قضيتها معك أكانت حلوة أو مرة، ولكنني وفيَّة والوفاء دائماً يتغلب على عدم الأوفياء ويحسن لمن أساء إليهم ثم قالت له: أستودعك الله وخرجت إلى دار صحيفتها.

* * *

يوسف: هكذا ظل ردحاً من الزمن يسير على هذه الوتيرة ولم يتزوج وحتى جاءه شخص من معارفه اسمه عبد التواب.

عبد التواب: قال له: يا يوسف الرجل لا يستغني عن المرأة وقد ماتت زوجك فلا تستطيع ردها وأنت وأنا سنصير إلى ما صارت إليه فأنا جئتك لأنصحك وإن أردت زوجة اخترتُ لك وعملت على تزويجك منها.

يوسف: قال له: هل أستطيع بعد فقدي لهذه الزوجة المخلصة أن أتحصل على بديل عنها تكون لي كما كانت زوجتي السابقة.

عبد التواب: رد عليه إنّ البشر فيه الجميل والقبيح وأنت عندما تتزوج كحاطب ليلٍ قد يلامس عقرباً أو قمراً ما يدري ماذا يخبئ له المستقبل ويلد له الغد، ولكن جلوسك أعزب لا خير فيه والله يحب المتزوج والمتزوجة أما علمت أن ركعتين من متزوج أفضل من سبعين ركعة من أعزب، فظل يمارس معه هذه النصائح والوصايا فترة طويلة حتى اقتنع يوسف.

يوسف: قال له ابحث لي عن زوجة شرط أن تكون زوجة فاضلة أعتمد عليها في حياتي.

عبد التواب: قال له لأنعمنَّ لك عيناً وأنا مستعد بالبحث، وأتعابي سوف نتفق عليها عندما أعيّن لك الزوجة فخرج منه.

يوسف: ظل يفكر حيث أثارته كلمة أتعابي كيف نبس بها هذا الشخص في هذه اللحظة الأخيرة عندما أخذ مني قرار الموافقة وقبل ذلك لم ينبس لي بأي حرف من هذه الكلمة لماذا هل هو عامل خير أم له غاية سننتظر ماذا يأتي به الغد؟

***

التاجر: لم يعبأ صديقه المسؤول برسالته، وأهملها في سلة المهملات ولم يتلطف عليه حتى بزيارة ولو كان واقفاً، إنّ الحياة

تدور مع الأغنياء ما دامت المصالح ترتبط بهم وفي صالح من يلتف بهم، إنّ المحيط البشري لا يقدر الصداقة ولا يحفظها إنما هي لفظة من الألفاظ الجوفاء الفارغة التي لم يطبق معناها في هذه الحياة إلا شريحة على ندرة أولئك الأوفياء الذين فهموا معنى الصداقة لا لفظ الصداقة فقط.

زيد: استبد بإدارة تلك التجارة لسيده المسجون واستغل فترة سجنه فصار يسرق الأموال ويودعها في البنوك التي هي خارج مدينته باسمه وكان ينقلها إلى بعض الدول الأوروبية وتمنى أن يطول سجن سيده حتى تتاح له الفرصة فيعمل ما شاء وقبل خروجه يفكر في الهرب لأنه ظفر بما أراد وتحصل على ما يرغب ولم يظفر بأي فتنة قام بها كما ظفر اليوم بهذه الضحية التي نكبها نكبة عظيمة فهو يقهقه في نفسه ويكاد يطير من الفرح ويتحكم في موظفيه وكتابه وأصبح اليوم تاجراً كبيراً ذا ثروة طائلة ويتمنى أن يموت سيده في السجن فيستولي على زوجته وبيته وكل ما ترك، فصار زيد يعيش في ذلك المتجر وتلك الحياة فترة من الزمن حيث أُهمِلَ التاجر القابع في إحدى زوايا السجن لا أحد يفكر فيه أو يسأل عنه.

***

رمزي: جاء وقال: يا أخي محمد هل قرأت اليوم في إحدى الصحف اليومية المحلية عن إحصائية العاطلين من شباب وشابات وخريجي الجامعات ويحملون مؤهلات عليا ولكنهم عاطلون يبحثون

عن أعمال فلا يجدونها فهم قابعون في بيوتهم، ومنهم من اضطر إلى أن ينزل إلى مستوى العامل العادي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب فيزاحمه في أعماله البدائية كغسيل السيارات وحمل بعض الأمتعة للأغنياء كل ذلك في سبيل الدرهم ليعيش به وأهله، وأظن يا **محمد** هذا ليس بعيب على المثقف أو المتعلم بل هو درس ليأخذ منه الكسول الذي هو غارق في حياة الخمول.

محمد: قال لرمزي: لكنك يا أخي لم تأتِ بوصفة طبية تعالج هذا الداء الذي انتشر في المجتمع البشري وغطى تقريباً الكرة الأرضية ما الحل وما العمل لهذا الفراغ الذي يضر بالمجتمع البشري، وقد يخلق منه أناساً منحرفين لأنّ البطالة والفراغ مفسدة للمرء أكبر مفسدة فلا بدّ من وضع علاج وتخفيف هذا المرض الاجتماعي والقضاء عليه وإعادة هذا الشباب لمستواه الرفيع الذي وجد من أجله ليكون عضواً صالحاً ليعمر الوطن، وقد تفاقم هذا الداء وفي كل يوم يزداد انتشاراً بالعاطلين، فختم **محمد** حديثه لنفكر يا رمزي في حلول نضعها لهذا المجتمع الذي كتب الله له السعادة ولكنَّ أكثرنا لا يحبون إلا الشقاء.

ونسأل المولى العلي القدير أن ينقذنا من كل آفات تضر بديننا ووطننا ومجتمعنا.

***

الفصل الثالث عشر

الشيخ ياسين: جاء من مكتبه وابنته تنتظره بفارغ الصبر أن يفاتحها والدها بما وعد به بالأمس ويفتح قلبه ليدخل أمها وأبناءه إلى جوفه فكأنهم يعيشون وسط ذلك القلب ولكنه مضى اليوم بما فيه من روتين وخرج إلى مكتبه ولم ينبس ببنت شفة حول الموضوع ومضت أيام وأيام وهما يعيشان كل منهما لم يفاتح الآخر بهذا الحديث حتى سئمت خديجة من الخوض في هذا الحديث الذي يتعلق بأمها وأبيها فقررت أن تقول كلمة أخيرة وتبلغها والدها.

خديجة: عندما حانت الفرصة قالت لأبيها: حتى متى يا أبي نبدأ ونعيد في حديث هو فيه سعادتك وسعادة أمي ولا زلنا في كل يوم نتكلم فيه فنجتر منه كما تجتر العتر في قائلة الظهر، فإذا كنت لا تريد زوجتك فلنغلق هذا الحديث ولا نعيش في حياة قلقة في كل يوم نرتقب ذلك الفجر فلا يعقبه إلا ليل مبطن بغمام الهموم وظلام الأحزان، أو تقرر بعودتها فوراً بدون تأخير حتى تشرق الشمس المحبة فتضيء سماء بيتنا فأنت بين كلمتين لا ثالثة لهما.

الشيخ ياسين: حار ودخل في بحر من الصمت يفكر ويضرب أخماساً في أسداس، ولكنّ ابنته لم تدع له فرصة أن يظل في بحر صمته يعوم بدون أن يصل إلى مرفأ، ولا يجيبها عن واحدة من اثنتين وبعد أن غص بالكلمات قال: يا ابنتي افعلي ما شئت.

خديجَة: إلا أنها ذكية قالت له: يا أبتي إنّ هذه حياتك وحياة أمي هي حياة زوجية تشترك معك في السراء والضراء فلا بدّ أن تصدر منك كلمة إيجاب أو سلب.

الشيخ ياسين: كان جوابه.. إذاً سأوافيك في هذه الليلة بإحدى الخيارين.

سلمى: لكنها يئست من هذا الأمل الذي تزرعه ابنتها في نفسها وتسقيه كل يوم ليعيش متألقاً ولا تذبل أوراقه، فيموت الرجاء في قلبها، فضاقت سلمى بهذه الوعود البراقة وتلك الأحلام الكاذبة التي تنبت في قلبها لحظات ثم تموت فتصفر أوراقها فتعصف بها يد الخريف فتتناثر حولها وتتكدس وراء الأيام والسنين، فتتحول إلى جثة هامدة فتدس في التراب، ولم تأتِ بثمر تأكل منه وتعيش.

هكذا سلمى عاشت على مجمر اليأس وحرمان الرجاء ونفضت كفها من بروق المستقبل وصباح الحياة.

***

حمدان: أخذ في الجدّ والبحث عن عمل لابنه ليعيش به ويغذي أسرته ويريح نفسه من أن يعيش عالة على المجتمع ويظل ظلاً ثقيلاً يتصفح الوجوه فيفتتن بمن يعطيه ويبغض من يحرمه، وقد بذل والده ما يملكه من نقد في سبيل الذين توسطوا له ولم تبق إلا صبابة عند والده فقال حمدان لابنه: تحصلت على واسطة سأدفع هذه الصُّبابة الباقية في سبيل أن نتحصل لك على عمل ترتاح منه وبعد سعي حمدان الطويل جاء لفهد من إحدى الشركات العملاقة طلب ليتقدم للامتحان.

فهد: امتحن واجتاز تلك العقبة وبعد ثلاثة أيام بُلِّغَ بالعمل فاستلم عمله وباشر فيما أسند إليه من عمل فكان عند رؤسائه مثال الموظف المخلص النشيط الذي يؤدي عمله بجدّ بدون كسل فهو يستلم راتبه من حلال طيب ومن عرق جبينه.

حمدان: فرح بنجاح ابنه والتقارير التي قررها رؤساؤه والتي تصفه بأنه موظف نزيه نشيط مخلص للعمل، فقال حمدان لابنه: أرأيت كيف عاقبة الصبر.. فالصبر هو مفتاح كل مغلق وسرّ السعادة والنجاح في الحياة.

* * *

سعاد: فرحت بنجاح ابنتها وذهبت بنفسها للجامعة لتقابل رئيسة الجامعة وتتحدث معها حول ابنتها وأنها لا تملك في هذه الحياة غير هذه البنت فهي الوردة وهي الامتداد لحياة سعاد.

رئيسة الجامعة: طمأنتها وقالت لها: يا سعاد أنت مهذبة ومؤمنة والإيمان هو خير سلاح في هذه الحياة لأنك تعتمدين بإيمانك على واحد لا يغلب وبيده كل شيء.

سعاد: تتفاجأ بابنتها رباب تستأذن وتدخل عليهما.

فهشت لها رئيسة الجامعة وقالت مرحباً بك يا رباب إن هذه صدفة من الصدف الجميلة أن تجتمعي أنت وأمك في مكتبي فما أسعدني لأني أعجبت بوالدتك لما تحمل من خلق ونبل.

رباب: انتظرت خروج أمها وقالت لرئيسة الجامعة أتسمحي لي.

رئيسة الجامعة: تفضلي .

رباب: عوداً على بدءٍ إنني أرجو منك رجاءً خاصاً أن تبذلي طاقاتك في إطلاق سراح المدرسة التي ألصقت بيَ التهمة، وهي التي حاكتها حولي فصرعها بغيُها، ولكن إتماماً لما أساءت به إليَّ أرجو منك أن تتدخلي بكل ما تملكيه من طاقات لإطلاقها، وجزاؤك عند الله فإنّ الله لا يضيع عمل عامل.

عادت رباب إلى أمها بعد أن انتهى الدوام وأخبرتها بما دار بينها وبين رئيسة الجامعة في توسلها ورجائها منها أن تسعى لإطلاق من لبسَّتها التهمة وهي بريئة منها.

سعاد: قالت لها: يا ابنتي هذا عمل طيب وإنك أحسنت لمن

أساء إليك فسيوفقك الله وينصرك ولكن لا أزال أحذّرك من أبناء الحياة وبناتها فإنهم يعيثون مع الذئب ويبكون مع الراعي.

* * *

عبد المعين: ظل يرقد في المستشفى في غيبوبة لا يدري بما حوله وما خلفه وأبناؤه يتصرفون في تجارته وينفقونها في انحرافاتهم الخُلُقية، وفيما لا يرضي الله.

مسكين عبد المعين كدَّ وأجهد نفسه وحرمها ولم يتمتع بما أنعم الله عليه.

وجاء أبناؤه إلى مالٍ جمعه أبوهم والتقطه مما هبَّ ودبَّ ومن عرق الكادحين عنده ليعبثوا به.

وحان الموعد للمرافعة في الدعوى والنظر في دعواهم على أحمد.

عندما افتتح القاضي أول جلسة للنظر في دعوى أبناء عبد المعين على أحمد.

أحمد: أجاب على لائحة دعوى المدعين ليس لوالدهم حق عندى وإنّ لي حقوقاً ورواتبُ شهرية عندما كنت موظفاً عنده طردني وحرمنى من رواتبي وحقوقي .

الأبناء: أبرزوا الوثيقة التي سلمها لوالدهم حيث إنه نسيها

وبقيت عند والدهم بعد أن سدَّد المبالغ لموظفيه السابقين، فقال للقاضي سأصدق ولا أقول كذباً ولو خسرت كل ما أملك، فحكى له القصة وما جاء به عبد المعين أنه لم يتمكن من إيصال رواتب موظفيه الذين فروا من قسوته ومعاملته معهم الجبروتية، فكان إذا ذهب إلى الشخص لا يقابله، وزوجته هي التي أشارت عليه ولديها اطلاع بذلك فأطلب من المحكمة سؤالها عن ذلك وأطلب شهادتها بما يدينها عند الله يوم الفزع الأكبر يوم لا ينفع مال ولا بنون وهذه إشارة من أحمد أنّ أبناءها لا ينفعونها ولا يفيدونها بشيء في ذلك اليوم فعليها أن تشهد بما تعلمه من الحق، وأردف أحمد إنّ ثقتي العمياء في والدكم ونسياني الوثيقة هي عِبرة للآخرين ليأخذوا منها درساً وعبراً، فرفع القاضي الجلسة لينظر في أقوالهم وحدّد موعداً لجلسة أخرى.

***

سليمان: قرر أن يغادر المدينة التي لجأ إليها وعاش فيها ردحاً طويلاً بدون أن يُعلم زوجته بمغادرته وترك هذه المدينة.

فذهب إلى مدينة أوروبية أخرى واتصل بدار إحدى الصحف الكبرى وتعامل معها على أن يكتب فيها وعقد معهم عقداً فبدأ يكتب في تلك الصحيفة مقالات فأخذت الصحيفة لها دور أكبر من ماضيها وأقبل عليها الجمهور ينتظرون صدورها ويتزاحمون على شرائها

ففرحت الدار بما جدّ لصحيفتها من مستقبل إلا أن الرئيس المسؤول عن الصحيفة همس في أذن سليمان أنه لا يزيد على مقالاته أكثر مما هي فيه من ثورية مقبولة، أما إذا طفح الكيل منه فسوف يصيب هذا الشرر الصحيفة ومسؤوليها فكان هذا المسؤول يلاحظ هذه المقالات ويحذف منها الجمل العنيفة التي لا تتماشى وخطط الصحيفة المرسومة لها من قبل مسؤولي تلك البلاد فمضى سليمان على هذه المنهجية ردحاً طويلاً ولم يفكر في زوجته أو أبنائه الذين تركهم وغادر تلك المدينة ولم يشعر زوجته أين هو يعيش إلا أنها من الصدفة قرأت تلك الصحيفة فوجدت مقالاً لزوجها وعرفت عنوانه وهاتفه فقررت الاتصال به هاتفياً فكانت المكالمة مفاجأة لزوجها، فدار بينها وبينه حواراً كان فيه من حرارة الحب والفراق ممزوجاً بالعتاب والشكوى فقال لها سليمان: أنت الذي هدمت هذه الحياة الزوجية وقضيت عليها فالآن حان الندم ولات حين مندم.

***

يوسف: صارحه وكشف عما في ضميره فقال: يا أخي عبد التواب أجئتني لتزرع الخير وتستثمره أم جئتني في صورة تاجر يسير في طرق ملتوية ليتحصل على الدينار، ولا يأبه بإخوانه أو أصدقائه.

عبد التواب: قال له: إنّ عملي هو أن أؤلف بين رأسين ليعيشا ويعمرا هذه الأرض، وأنا أعيش من هذه الأتعاب، ولا أطمع فأنت وكرمك بعد أن توافق على الزوجة وتعجبك وتبتني بها أو فهمت يا

يوسف فهل أنا متصيد وأتلبس بثوب غير الحقيقة ولا أعرف هل قنعت بهذا الإيضاح أم لا تزال تعيش وراء أوهام وتريد من الناس أن يعملوا لك ويقدموا لك الخدمات وأنت لا تريد أن تبادلهم ذلك، فهل أمضي في عملي يا يوسف وأجمعك في بيت خطيبتك لتراها وتراك وتتفاهم وتتحاور مع أهلها أم لا تريد ذلك فالرأي لك؟

يوسف: قال: أنا مستعد أن أعطيك مائة دينار فقط تجاه أتعابك فإذا وافقت على ما أقوله فامضِ في عملك وسعيك وليكن بيني وبينك هذا التعامل على وضوح ومكتوب بيني وبينك لئلا نقع في مشاكل مستقبلية ونزاعات لا طائل وراءها.

عبد التواب: قال ليوسف وافقت على ما قررته لي من أتعاب وإن كانت قليلة بالنسبة لما أقوم به من جهد وسعي.

يوسف: قال: لا مشاحة في الاتفاق فأنت حر إذا لم توافق على ما قلته لك.

عبد التواب: قال: سأذهب من هذه اللحظة لأسعى وأحضر لك الزوجة واسمها وبنت من وأضرب بينكما موعداً لزيارة بيت أهلها ورؤيتها.

يوسف: قال امضِ على اسم الله، وإن شاء الله مساعيك راشدة وخيرة.

***

زيد: ظل يستغل هذه الفرصة الذهبية التي لم يحلم بها وعلى ما قام به من زرع فتنٍ بين الأسر فيهدم تلك الأسر ثم تعود فتلتئم رغماً على أنفه ولم يتحصل على ما تحصل عليه في زرع هذه الفتنة التي ظفر بها ولاك أثمارها غير المباحة، ولكنه لايبالي لا باليوم ولا بالغد عندما يلف من هذه الحياة ويصير إلى بطن الأرض فالويل له، أما التاجر السجين فكرر الكتابة لصديقه السابق وكان في أحرفها استعطاف وخضوع وقال لصديقه: أَنَسَيتني عند المحنة والصديق يعرف في المحنة ولا أدري ماذا عملت فحتى الآن لم توجه لي أي تهمة قمت بها لأبرر موقفي وأعرف اليد التي رمت بي من وراء الستار وزجت بي في هذه الزنزانة المظلمة وقبعت فيها طيلة ستة أشهر لم يمر عليَّ مسؤول فكان هذا المسؤول لديه مستشار فعرض عليه كتاب صديقه السابق فقال له: ألا تخاف الله فعليك البحث والتحقيق عن هذه التهمة التي أُلصِقَتْ بهذا الشخص ولعله بريء فيبقى في ذلك السجن فيصيبه أمراض وحياته وأسرته يؤول أمرهم إلى الدمار والخراب والشتات وكأنما المسؤول نائم فانتبه فوعد ذلك الصديق بأن يقوم بتشكيل لجنة للتحقيق في ذلك الموضوع فرد عليه مستشاره عليك بتشكيل لجنة نزيهة بعيدة عن الأطماع أو الأغراض تحقق في هذه التهمة بنزاهة وإخلاص وبعد التحقيق عرف التاجر من أين جاءته الداهية ومن كاده ونسج له هذه البلية فرفع الستار عنها فإذا هي من موظفه زيد الذي عمل فيه هذه العملة فأرسل إلى بيته أن يأخذوا المفاتيح من زيد ويغلقوا المتاجر إلا أن زيداً أبى ذلك

وقال: إنّ لي حقوقاً لا بدّ أن تصفى معي حتى أسلم مفاتيح المتاجر، فظل هذا التاجر يفكر كيف المخرج من سجنه أولاً حتى يلاحق زيداً وما قام به من خيانة عظمى وبرئت ساحة هذا التاجر من التهمة التي ألصقها به زيد إلا أن التاجر لاحت له فكرة فطلب من صديقه إلقاء القبض على زيد لئلا يفرَّ بأمواله التي تسلّط عليها أيام سجنه فاستجاب له صديقه وما شعر زيد إلا بإلقاء القبض عليه وزجه في السجن وبعد أيام أطلق سراح التاجر فجاء إلى متجره وهو يردد .

والبغي مرتعُ مبتغيهِ وخيمُ.. إلخ...

***

رمزي: جاء لمحمد وقال له: إنني وجدت ظاهرة اجتماعية هي تشبه الكوليرا فهي تفتك بالمجتمع وهو الانحدار الخلقي فالشباب غرق في حياة مستنقعية إلى أذنيه ولا يزال ينحدر، ولا أدري إلى أين يصل لا يقرأ الكتب ولا يثقف نفسه ويظل عاكفاً على مسلسلات إجرامية أو بوليسية تولّد منها الفتك والسطو على المتاجر والبيوت وحتى على البشر يعتدون على إخوانهم كأنهم ذئاب ضارية أو أسود تريد أن تفترس فريستها كأنهم لم يكونوا إخواناً لهم إلى ما يقومون به من درّاجات نارية يعصفون بها الشوارع ويسيرون بها ذهاباً وإياباً في فراغ مميت ليس وراءه من هدف إلا السطو والنهب والضرب وفي بعض الساعات تصل إلى مرحلة القتل ويقومون بأساليب أخرى

كالتشفيط بالسيارات حتى تتولد من هذا الأسلوب موجة من الدخان الداكنة لا يكاد المار أن يبصر طريقه وتعقبها حوادث تذهب فيها أنفس أو تتحطم السيارات وقد شاهدت بعيني هذه الأساليب في كل صباح ومساء.

محمد: قال له: ألم يكن هناك أمن يمنعُ هؤلاء من هذه الأساليب؟

رمزي: أنا أجهل السر ولا أعرف إلا ما أشاهده من أساليب هؤلاء الشباب الذين انحدروا من القمة إلى السفح.

محمد: لقد وعدتني بوضع حلول في المحاورة السابقة معك وقد جئتني بمشاكل اجتماعية فظيعة ولم تضع حلولاً للمشاكل السابقة فماذا أصنع معك؟

رمزي: سأضع لك حلولاً ولكن كيف التطبيق وهل نستطيع أن نقوم بتنفيذ تلك الوصفات الطبية الاجتماعية فانتظرني لحوار جديد عندما يجمعنا الله قريباً.

***

الفصل الرابع عشر

الشيخ ياسين: قضى دوامه في مكتبه وعاد إلى بيته وأدى طقوسه اليومية في بيته ولم يفاتح ابنته خديجة في الحديث الذي أجلّه وقال لابنته: سوف أعطيكِ أحد الخيارين، معناه إما إقفال الموضوع نهائياً وتسريح أمكِ أو إعادتها إلى بيتي ومعاملتها كزوجة.

خديجة: لم تطلب منه الخوض في ذلك الحديث لأنها أصيبت ببعض الإحباط ويظلل ذلك الإحباط غمامة من اليأس وإن كانت لا تزال يضيء لها بصيص من ضوء الأمل تحاول أن تزرعه من جديد في قلب أبيها لعله يثمر.

وظلت خديجة تغتنم الفرص التي يكون فيها والدها هادئاً ولم يأت غاضباً وثائراً من مشاكل القرية التي يحلها ويستفيد من ورائها إتاوات يعيش بها بصفته عمدة تلك القرية فهو مهيمن عليها ومسيطر عليها كل السيطرة.

وفي إحدى الأمسيات وجدت خديجة والدها هادئاً مطمئن البال ليس على وجهه عبوس فاغتنمت تلك الفرصة لتتقدم له وتفتح له

الحديث وتذكره بقولته التي ندت من شفته سأرد عليكِ غداً بإحدى الخيارين، يا أبتي لم تنبئني عما قررته سابقاً فلاذ بالصمت ثم أردفت خديجة، فماذا استقر عليه رأيك الأخير وحان الوقت أن تصدر ما تراه وليس لي حق أن أفرض أي رأي عليك إنما هو عرض وليس بفرض والفرض هو لك بصفتك أباً تقرر على أبنائك ما تشاء بدون معارضة، فولّدَت في آفاق نفس أبيها ارتياحاً ودخلت له من أسلوبه الذي لا يزال فيه بقية رواسب من تلك الشخصية الطاغية الدكتاتورية التي لا تقبل من أي شخص أن ينصحها أو أن يرشدها إلى رأي من الآراء.

الشيخ ياسين: قال لها: يا خديجة لقد أطلت معك الحديث وسوّفت معك الوعود وأؤجلها من يوم لغد ومن غد إلى آخر وقد مضت الأيام ونحن ندور في حلقة مفرغة وأنا أعيش على عتبة الخريف وبالأصح على عتبة الشيخوخة الواهنة فقد أحاطتني الثلوج ولم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء وسوف أمضي عنكم وقد قررت أن ترجع أمك في هذا اليوم فعليك أن تذهبي مع أحد السائقين وتأتين بها بعد أن تزينيها وتلبسينها أفخر الثياب وتكون عروساً تزف إليَّ في هذه الليلة وكأني لم أعاشرها طيلة العمر ولم تكن لي رفيقة إنما هي وردة نديانة كأني لأول مرة ألتقي بها وأشمها.

خديجة: فرحت وانطلقت من توها مع أحد السائقين لفرحتها وألقت البشرى إلى أمها، وأدخلتها الحمام وبعد استحمامها عادت بها إلى بيتها فعاشت مع زوجها في حياة فاضلة غير الحياة التي

قضتها معه حياة الألم والذل والإهانة فقد أبدلهم الله حياة كريمة فضلى كما أوصى بها الدين الحنيف وحيث قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

سلمى: بدأت تعيش حياة جديدة وتدير بيتها بالأسلوب التي كانت ابنتها تديره وتتلقى زوجها عند قدومه ببسمة وبشرى لم تعوده عليها من ذي قبل وتستقبله بتعظيم وتقدير وتعامله معاملة حسنة فأنِس بها.

الشيخ ياسين: قال لزوجته سلمى: إنني أشعر بسعادة تغبطني وتظلل بيتي وأظنني لا أعيش طويلاً.

سلمى: قالت له ولماذا يا زوجي العزيز؟

الشيخ ياسين: إنّ الحكماء يقولون :

إذا تم شيء بدا نقصه
ترقب زوالاً إذا قيل تمْ

سلمى: ردت عليه إنّ الآجال بيد الله :

ولست تدري ولا المنجم يدري
أي وقت يكون فيه الرحيلُ

* * *

حمدان: ارتاح لعمل ابنه فهد الجديد الذي يدرُّ عليه ويعود بالنفع على أبيه.

فهد: ولد بار بأبيه ويتذكر أيام شقاء أبيه في البحر وما يلقاه من أهوال البحر ووهج الشمس وحرارة الجو وما يضببه ذلك الصيف من جوٍّ يرمي بالحمم الساخنة، وفي فصل الشتاء ما يلاقيه من قرِّه ورعوده وأمطاره، وعواصفه التي إذا عصفت تقلع السفن وما فيها وتغرق الصيادين فيبتلعهم البحر العميق الذي لا يرحم.

كل ذلك يلاقيه حمدان في سبيل أن يأتي بقرص ليغذي به أبناءه وزوجته مضافاً لما قام به حمدان من توفير من هذه اللقمة وضيق على نفسه ليعلم أبناءه ويرسل فهداً إلى خارج وطنه لتعليمه، فهذه جهود مضنية قل من يقوم بها ومن يشعر أنّ العلم هو السلاح في هذه الحياة وهو الباقي أما المال فيفنى ويزول.

وكان حمدان بهذا التفكير زرع في أبنائه حبّ العلم وبرّ الوالدين فجنى تلك الثمار وعاش بعد ذلك التعب والشقاء في عيشة راضية وهنيئة والعيش في الكبر وسعة الرزق هذه من سعادة الشخص ومن نعم الله عليه، ولا سيما إذا كان في الشيخوخة الواهنة.

سعاد: ظلت في بيت زوجها عبد الجبار تعيش عيشة راغدة وذلك الزوج يقدرها ويقدر ابنتها على حسابها.

إلا أن الصدف العمياء التي تختفي وراء الغد المجهول نجمت

في حياة سعاد لتعكر ذلك الصفاء، اصطدمت في مشاجرة مع أحد أبناء زوجها الذي هو من ضرتها وكان الاصطدام عنيفاً فأضمر ذلك الابن أن يحيك لها خلف الستار فيسقطها من قلب أبيه حتى يدمر حياتها وإن استطاع ذلك الابن أن يصل إلى تسريحها وخروجها من بيتها فهذا هو الفوز.

سعاد: لم تعبأ بما يحاك لها، إنما ظنت هو شجار وقتي ينتهي بانتهاء ذلك اليوم الذي وقع فيه ويصفو الجوّ وينقشع الضباب وتشرق الشمس وتعود الحياة الأسروية كما كانت من ذي قبل.

فظلت سعاد آمنة مطمئنة وتبش لزوجها وتضحك لأبنائه، ولم تبدل شيئاً مما كانت عليه، ولم ينجم لها في ذلك الجوّ الذي تعيشه أي غمام يضبب حياتها وظلت في ذلك الجوّ.

***

عبد المعين: ظل راقداً في ذلك المصح الذي أدخل فيه فهو يشبه الميت وليس بميت إنما هو غارق في تلك الغيبوبة معطلة حركاته وأبناؤه يعبثون بذلك المال الذي حرم نفسه منه وعاش فقيراً ينطبق عليه بيت الشاعر العملاق المتنبي :

ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ
مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقرُ

أحمد: ظل يفكر في ما قام به من خدمة لعبد المعين وكيف

انقلب عليه الخير إلى شرٍّ حتى أوصله إلى المحاكم، وهو طيلة هذه المدة من حياته لم يرفع على أحد قضية ولم ترفع عليه قضية فهو يأسف لِما أنابه، ولكن تمر على أفق فكره لمحة من ضوء الإيمان التي تأمر بالسعي للخير، فتعود له بارقة الوفاء وتمده بحياة قوية مؤمنة لا تفكر في العواقب ولا تفكر إلا في عمل الخير لوجه الله.

فحانت له لفتة من لفتات المحاماة البارعة فذكر الأسناد التي أخذها على عمال عبد المعين حينما سلمهم الدراهم أخذ منهم أسناد قبض وتواقيعهم شاهدة عليهم فلملم تلك الأسناد وتحويل عبد المعين لعمله عليه وذهب بها إلى المحكمة.

حانت الجلسة فذهب إلى المحكمة بنفسه آخذاً معه تلك الأسناد، وحضر المحامي عن أبناء عبد المعين.

القاضي: افتتح الجلسة فقال: يا أحمد ما تقول في هذه الوثيقة التي هي بخط يدك؟

أحمد: قال إنني طلبت والدتهم للشهادة في الجلسة السابقة ولم يحضروها فإذا تتكرم عليَّ أن تكتب لي إشعاراً موجهاً من المحكمة بطلب حضورها فإنهم لا يحضرونها للشهادة في هذه المحكمة، لأنهم عرفوا أنّ شهادتها ليست في صالحهم.

لذلك أطلب من المحكمة تأجيل الجلسة حتى حضور الشاهدة وسماع أقوالها، وبعد شهادتها سأجيبك عن رأيي في هذه الوثيقة وما يبطلها.

القاضـي: قـال للمحـامي: إنّ المحكمـة تطلـب إحـضار والـدة موكليـك لإدلائها بالشهادة وبعد أن نـسمع شـهادتها وندرسـها نـسأل أحمد ما عنده من جواب وما لديك بصفتك مدَّعٍ من أقوال وتعليق ورفع الجلسة وحدد لهم موعداً آخر.

***

سليمان: ومضى في نشاطه الصحفي إلا أنه لم يواصل حممه في مقالاته التي كان يدبجها وينشرها في تلك الصحف الماضية التي قاسى من تلك المقالات الويلات والسجن والطرد والتسفير من بلد إلى أخرى كل ذلك في سبيل إخلاصه للإنسان من حيث إنه إنسان أين ما كان ومهما كانت جنسيته أو انتماؤه الفكري أو المذهبي ويخدم الإنسان من حيث إنه إنسان.

ففكر وأشرق له ضوء من ذكريات الحياة الزوجية فقال أنا أخدم الإنسان وكيف قسوت على زوجتي وأهملتها وأبنائي وعندما هاتفتني بالهاتف وكانت هي المتفضلة رددت عليها بقسوة فيها من الجبروت ومثلت فيها الأزواج الذين يحتقرون زوجاتهم، ولا يرونهنَّ إلا كمتاع من متاع البيت، أنا آسف كل الأسف وكان من الواجب عليّ أن أتصل بها وأعتذر إليها وأطلب منها زيارتي هي وأبنائي، وأحاول بذل إمكانياتي في ترخيص صحيفة لها إن أسعفني الحظ وإن استطعت أن أرخص لها صحيفة باسمها تديرها.

اتصل سليمان بزوجته واعتذر لها كل العذر وأسف كل الأسف والمرأة قلبها زجاجي رقيق.

صفية: رقّت له ولمحنته واستجابت لأوامره وذهبت له كزيارة هي وأبناؤها.

سليمان: فرح بزيارة زوجته وجلوسها معه وأبناءه فطلب منها أن تعود إلى البلاد التي خرج منها سليمان وتصفي ما لها من أعمال هناك وإذا استطاعت أن تبيع امتياز الصحيفة فلتفعل وإلا تطلب إيقافها وتعود له.

كان سليمان على صبابة ولهفة ينتظر عودة زوجته وأبنائه ليعيشوا معه كما كانوا من قبل.

***

يوسف: كان يرتقب رد عبد التواب الذي يبحث له عن زوجة تخلف زوجته المتوفاة ليعيش معها وينسى هموم الحياة وتعب أيامه التي قضاها في العزوبة وضريبة الحياة التي يؤديها الإنسان في كل صباح ومساء، فإذا جاء إلى بيته استقبلته تلك الزوجة ببسمة تبدد عنه كروب الحياة، وليلها الداكن، وتهش له إذا كانت مؤمنة فينطبق عليها الحديث (تحفظه في غيبته، وتسره في حضوره) هكذا الزوجة الصالحة.

لكنّ يوسف لم يوافيه عبد التواب بأي خبر من الأخبار،

وأخذ يبحث عنه، وبعد جهد جهيد، التقى به وطالبه بتنفيذ ما انتدبه له،

عبد التواب: أجابه إنك بخستني في الأجور التي أستحقها فلم أسع لك.

يوسف: سأله كم تريد حتى أتفق معك على مبلغ معلوم لا يكون بيني وبينك نزاع وشجار.

عبد التواب: إذا كنت مستعداً أن تدفع لي ثلاثمائة دينار فأنا رهن إرادتك وإشارتك ولا تسلمها لي إلا بعد أن تتفق مع هذه الزوجة التي أختارها لك وبإمكانك أن لا تسلم لي أتعابي إلاّ بعد عقدك على الزوجة وتمليكك لها، فإذا كنت موافقاً فاكتب بيني وبينك وثيقة وإلا فأنت حر وأنا حر.

يوسف: اضطر أن يوافقه على ذلك وأن يكتب بينه وبين عبد التواب وثيقة ويُشهدُها فكانت الوثيقة من صورتين بيد كل واحد منه صورة.

***

زيد: ظل في السجن وشكلت له لجنة لمحاكمته، وطلب من التاجر أن يأتي بسجل عن الأموال التي تركها عندما سجن، وما أنفق منها زيد طيلة سجنه، وكيف كان المتجر مختوماً بالشمع الأحمر وكيف جاز لزيد أن يفتحه ويتسلط على هذه الأموال، وعن أي طريقة فتح له.

التاجر: هذا السؤال يوجه لزيد لا لي، لأني كنت قابعاً في زنزانة السجن لا أدري ماذا يحدث في هذه الحياة؟

المحقق: وجه السؤال إلى زيد.

زيد: قال إن زوجة سيدي رفعت كتاباً إلى أحد المسؤولين ترجاه وتسترحم فيه فتح المتجر لتعيش منه هي وأبناءها لأنهم لا يملكون حتى درهماً واحداً.

المحقق: أين الكتاب ؟.

زيد: الكتاب قدم إلى المسؤول وأتى باسمه .

المحقق: سأل المسؤول، وبحث عن الكتاب وجدوه في إحدى الملفات التي تتعلق بالتاجر حين سجنه، ولكنهم بعد البحث ومساءلة زوجة التاجر وجدوه مزوراً بخط زيد وافتعل التوقيع ليتمكن من أن يتسلط على المتجر ويعبث فيه بما شاء وكيف شاء، فنسج في جوابه هذه الكذبة المزورة حتى يختلس من هذه الأموال.

زيد: اعترف بذلك وقص عليهم قصصه العجيبة الغريبة التي قام بها مع العوائل وما يزرعه من فتن، ولكنه لم يظفر بمثل هذا الظفر ولكن العاقبة كانت أسوأ من تلك الفتن التي قام بها وظل قابعاً في السجن حتى يصدر عليه الحكم.

* * *

رمزي اجتمع مع **محمد**.

محمد: قال أيها الأخ رمزي.. هل جئتني بما وعدتني به الأمس؟

رمزي: إنني حائر في هذه الحياة وكل يوم أسمع وأقرأ في الصحف خبراً فظيعاً أَتَحولنا من الإنسانية أم سُلِخَتْ منا، ما أدري يا **محمد** كيف عدنا إلى هذه الحياة حياة الوحوش حياة الذئاب أو حياة الأسود الأقوياء الذين يفترسون كل من كان أضعف منهم، وحتى تحدث من لديه معرفة بتروض الأسود، ومن درس حياتهم يقولون: إن الأسد إذا كان ممتلئاً من الشبع لا يقرب الفريسة ويبتعد عنها، إنما إذا أخذه السغب يفترس كل من يلقاه ويقدر عليه، إذاً فالأسد أفضل من البشر ما أدري، وإني لحائر أفكر في هذه الحياة، ولا يزيدني التفكير إلاّ حيرة وذهولاً، فهل الأسد أفضل من البشر، أم أن البشر أفضل من الأسد؟

محمد: أجابه يا رمزي كل يوم تطلع عليَّ فيه بما يهز كياني ويقلق راحتي فأعيش على حياة جاحمة وأيام واهجة وليلٍ مظلم لا فجر فيه ولا صباح وكل ما قلت لك نريد أن نضع وصفة طبية نعالج بها هذا المجتمع ونطلب من ذوي الرجال الخيِّرين أن يساعدونا على إيقاف هذا المد الإرهابي الوحشي الذي قلب الحياة رأساً على عقب وسخرها لمطالبه الدنيئة وقلبها إلى صفحة دامية ترعف بأشباح الخوف وتسلب الأمن حتى للراقدين في بيوتهم وهذه من أخطر

المشاكل الاجتماعية وأهمها في حياتنا فإن لم نسرع لعلاج هذا الداء فسيفتك بالمجتمع فتكاً ذريعاً، ألم تعلم يا رمزي أن الأمن هو كل شيء، فحياة بلا أمن لا حياة موجودة، وأمن بلا حياة لا أمن موجود، فإذاً يصح أن نقول فالحياة الأمن والأمن الحياة، وأرجو منك يا رمزي في جلسة أخرى أن نضع هذه الوصفة مع ثلة من الشباب المؤمن الذي يريد الإصلاح ولا يهمه المال أو الجاه.

رمزي: قال إني أرحب بهذه الفكرة وسنسعى لتأليف هذه اللجنة معاً ونشترك معاً في وضع الوصفة الطبية.

محمد: هذا قول سديد وسنلتقي إن شاء الله في حوار آخر وجلسة أخرى.

الفصل الخامس عشر

الشيخ ياسين: أكمل حديثه مع زوجته وأسرته قائلاً: يا سلمى سوف لن أتمتع بالحياة معك إلا قليلاً لأني أشعر بضعف وانهيار في أعصابي وجسمي، وقد ظلمتك ظلماً لا حدود له، وأهنتكِ فأطلب منكِ أن تصفحي عني وأن تهبي لي الخطايا التي أخطأتها عليكِ وتسامحيني في ذلك، وأنا أشكر ابنتي خديجة حيث لَمّتْ هذا الشمل وأتاحت ليَ الفرصة لأتمكن من الاعتذار إليكِ ومسامحتكِ لزوجكِ.

وأنّ طيف الغروب يلاحقني ويلوح في سماء حياتي وكل يوم يمضي سيقربني إليه.

سلمى: أدعو الله أن أتمتع معك في هذه الحياة الجديدة التي لم أتذوق طعمها في الماضي، ولم أحلم حتى بخيالها، وقد عفوت عنك وسامحتك وكل ما أرجوه من ربي أن يطيل حياتك لنتمتع جميعاً بهذه الحياة وإنْ كنا في عالم الخريف تتراكم حولنا الثلوج، وتتكدس خلف خطانا الثمانينات التي مُلِئَتْ بالمعاصي لخالقنا الذي هو الواهب لنا هذه الحياة، وهذه النِّعَمْ ثم ساد بينهم صمت.

الشيخ ياسين: شعر بوخزات في الصدر فنقل على أثرها لأحد المصحات القريبة من منزله.

وبصفته عمدة تجمع أهالي القرية حول المصح يسألون عن صحته خوفاً ورهبةً منه لا حباً له ولم يبق في المصح غير ثلاثة أيام وفارق الحياة على أثرها.

سلمى: بقيت تندب حظها، وكيف قست عليها الحياة في ربيع حياتها الجديدة وعندما كانت شابة تتألق كالوردةِ لم تتهن مع ذلك الزوج الذي كان يبلعها ويزلطها ثم يقذفها كأنما هي لقمة سائغة لا قيمة لها ولا كرامة.

ولمّا ابتسمت لها الحياة وأشرق صبحها لم تتمتع بتلك الحياة الجديدة حتى كأنها تزوجت من جديد، وعادت الى ربيع الشباب كأنها لم تكن في فصل الخريف.

وبعد هذه التأملات الحزينة أثابت إلى واقعها وقالت أحمد الله أني عدت وتصافيت مع زوجي وهو حي فلأبقى مع أبنائي وهم ثمرة حياتي وآمالي التي هي من ثمرة هذه الحياة وانتهت تلك المأساة وخلدت سلمى إلى الصبر.

***

حمدان: تبدلت حياته ببركة ما يفيضه ابنه عليه.

فهد: طوَّر حياتهم واقترض من الشركة والبنك مبالغ مالية

ليشتري بها قطعة أرض ليبني عليها بيتاً يأويهم ويعيشون تحت سماء ذلك البيت فيشعرون بحياة كريمة.

وقد طلب فهد من والده أن يترك صيد السمك ويرتاح آخر عمره، ولا يزاول أعمالاً شاقة، إنما عليه أن يقوم بما يحتاجه بيته من توفير الطعام والحاجات البيتية، فبقي ابنه فهد على هذه السيرة وهو يعمل في تلك الشركة.. إلا أن الطائفية البغيضة لا تترك الحياة تصفو وتسير في مجراها الطبيعي فهي تتدخل في حياة الشخص فتفرض عقلها المنغلق على عقول منفتحة.

جاء للشركة رئيس جديد غير ذلك الرئيس الذي هو منفتح ويحمل أخلاقاً فضلى، ولا يميز بين شخص وآخر فالناس عنده سواسية ما داموا ينتمون إلى وطن واحد، ودين واحد إلا أن الزمن لم يترك ذلك الرئيس فقد فُصل من عمله وجاء الرئيس الجديد فكان عقله كالصخر والحجارة لا يعرف أين يعيش، وكيف جدَّت الحياة الجديدة كأنه لم يعش في القرن الواحد والعشرين عصر العولمة، عصر الثورة المعلوماتية ثورة المعلومات عصر الحاسوب، والكهرباء عصر التطور، ففصل فهداً وفوجاً من على شاكلته، وحرمهم من حقوقهم فرفعوا عليه قضية في المحاكم وطلبوا محاكمته.. إلا أنه صدر الحكم بإعطائهم حقوقهم وبإعادتهم الى أعمالهم.

فجاء فهد وعلى ثغرهِ بسمة النصر وعلى خطوط وجهه فرحةً قرأها والده.

حمدان: شجع ابنه وزوّده بالصبر والتوكل على الله وكلما اقترب من الله يسهل له العسير ويفتح له مخرجاً وأضاف الى ابنه وقال له عندما توكلت على الله نجحت هذا النجاح فمن توكل على الله فهو حسبه.

* * *

سعاد: وعندما نجمت في حياة سعاد المشاجرة التي وقعت بينها وبين ابن زوجها أخذ ينميها ويسقيها عند والده لحقدهِ على خالته وفي كل يوم لا يترك أباه حتى يكبر تلك الملامح ويبغضه لخالته فنمت في قلب والده وبدأت تفتح أبواب الكراهية لزوجته سعاد وتبدلت حياته مع سعاد وتعكرّت فشعرت سعاد بحياة غير تلك الحياة، لم تر تلك البسمة التي يقابلها بها زوجها ولا تلك الكلمات المعسولة التي يداعبها فاستنكرت ذلك وقالت لزوجها: أيها الزوج الحبيب ما لي أراك قد تبدلت معي وتجهمت إليَّ هل فعلت معك ما يخالف الزوجية أو ماذا فعلت أنبئني بذلك؟

عبد الجبار: صمت.

سعاد: اسمح لي أيها الحبيب إذا تجرأت عليك وطلبت منك أن تفتح قلبك لي وتكاشفني بما قمت به حتى أصلح أخطائي إذا بصرتني بها، فقال زوجها : إنكِ لم تعودي كزوجتي أمس بل بنيت زواجك مني على أطماع فلما لم تتحصليها زرعت لي البغض والكراهة .

سعاد: فقالت: كل ذلك لم يكن مني.

فرد عليها إن ما أقوله لك هذا هو الصحيح وإني أشاهده منكِ يا سعاد في الصباح والمساء وقد حدثني ابني عنكِ وما جرى معه وما قلتِ له حولي.

فغضبت سعاد ونفرت نفرة المرأة الناشز الغضوب وقال لها زوجها: يا سعاد أنا لا أريد أن أؤذيك أو أعمل معك معاملة تسوؤك فاليوم أسرحك واذهبي عن بيتي فسرح سعاد وأخرجها من بيته وانتهت الحياة الزوجية التي نشأت على حبٍّ غير ركين فتبخر الحب كما يتقشع الغمام عن الأفق ومات الغرام في فجر حياته.

* * *

عبد المعين: ظل يغط في تلك الغيبوبة إلا أنه قبل أن يأتي وقت المرافعة بين أبنائه وأحمد صحا من تلك الغيبوبة وفتح عينه في ذلك المصح وسأل عن أبنائه وأخذ يتحسس عن زوجته وأبنائه فأخبر من ممرضي المستشفى أن أبناءه وزوجته لا يزورونه إلا في الأسبوع مرة ولا يعتنون به كعناية الأبناء بأبيهم فهم لا يقيمون له تقديراً بل أصبح عندهم في سلة المهملات، فأسف عليهم، فقال: ادعوا لي أحمد فإنّ أحمد كان لي خيراً من هؤلاء الأبناء الذين كدحت في سبيلهم وحرمت نفسي من متع الحياة وبخلت أن أمد يدي إلى معونة فقير أو أتصدق بصدقة أو أعمل في مشروع خير، هكذا عاقبة الشحيح الذي لا ينفق في سبيل الله ولا يخرج الحقوق التي فرضها

الله عليه من زكاة وخمس فلما أُخبر أحمد بطلبه له استبشر وقال: الحمد لله الذي رد عبد المعين ليظهر الحق من الباطل فجاء له مع ثلة من أصدقاء أحمد وحيوه بالتحية واستبشروا بهذه الصحوة وبشروه بمشيئة الله سيتماثل للشفاء ويخرج من المستشفى وليس ذلك على الله بالعسير فإنّ الله يحيي العظام وهي رميم ولكنّ أحمد لم يضيّع هذه الفرصة لأنه لا يعرف ماذا يحدث عليه أو على عبد المعين غداً أو بعد ساعة فأخبره بما قام به أبناؤه من ادعاء عليه وفصل له القضية فذكرها عبد المعين وقال له: ألم أقل لك لا أريد هذه الوثيقة منك وأنت أصررت عليَّ بأخذها والاحتفاظ بها، فقال أحمد لعبد المعين: أو هذا جزائي إذا عملت خيراً، فقال عبد المعين: ماذا تريد يا أحمد؟ قال: أريد منك اعترافاً بما جرى بيني وبينك من قصة موظفيك وما طلبت مني بالتسديد لهم فكتب له عبد المعين إقراراً مفصلاً وأنَّ لا حق له عنده وإنما هو قام بمعروف فله الجزاء والإكرام وليس من حقه الإهانة والادعاء عليه وجلبه للمحاكم وأشهد ذلك الإقرار بجماعة كانوا حاضرين مع أحمد معروفين بشخصياتهم وأنهم ثقات، وسلمه له وحانت من أحمد لفتة فكرية أن يجمع الأوراق التي سلمها إلى موظفي عبد المعين وأخذ تواقيعهم فلملمهم وجمعهم في ملف مع إقرار عبد المعين وحين ما حانت الجلسة وافتتح القاضي جلسة المرافعة قال القاضي لأحمد: أين شهودك؟ قال: لقد شعرت بأنّ زوجة عبد المعين عندها شهادة تفصيلية بكل ما جرى بيني وبين زوجها وليس له حق عندي وهذا جزائي لما قمت به من

معروف، فأجابه القاضي: الشاهد لا يجبر على شهادته ومن يكتم الشهادة فآثم قلبه، فقال أحمد: لقد أغناني الله عن من يكتم شهادته وهؤلاء شهودي ينطقون بالحق ويضحدون دعوى أبناء عبد المعين لأنهم على غير الحق، فقال القاضي: ما عندك يا أحمد قدم ما لديك من بينات، فقدم أحمد اعتراف عبد المعين مشهداً بشهود لا يستطيع الخصم الطعن فيهم وكان الإقرار بخط والدهم وأردف ذلك بأسناد القبض الموقعة من موظفي عبد المعين وطلب من القاضي أن يطبق أسناد القبض على الوثيقة التي يحتجون بها فهل يطابق ذلك المبلغ أم يزيد أم ينقص؟ فأمر القاضي بتطبيقها فوجدت مطابقة لذلك المبلغ الذي في أسناد القبض بنفس الوثيقة مضافاً لاعتراف عبد المعين، فسأل القاضي المدَّعي وكالة ماذا تقول في هذه البينات؟ قال: إنني لا أعرف خط عبد المعين وعلمي به في غيبوبة فضحك أحمد وأفهم القاضي أن عبد المعين لا يزوره أبناؤه إلا مرة في الأسبوع وهم لا يعلمون عنه أفي حياة أم في موت وهؤلاء هم الشهود فليسألهم القاضي عما رأوا وشاهدوا فشهدوا طبق ما رأوا وأضافوا إن هذه الوثيقة هي بخط عبد المعين الذي فيه اعترافه وإقراره.

فحكم القاضي ببراءة أحمد وإدانة أولاد عبد المعين وانتهت القضية بفوز أحمد فقال: الحمد لله إن الله لا يضيع عمل معروف قام به العبد لوجه خالقه.

***

سليمان: كان ينتظر عودة زوجته بفارغ الصبر ويعيش على ليلٍ قلق يتقلب في ذلك الليل كما تتقلب الحبة في المقلاة وظل يهاتفها وهي تصبره وتطلب منه الأناة لتصفية كل ما عندها من أثاث ومما يتعلق بالصحيفة وما يوجد في دار تلك الصحيفة لأنهما عاشا ردحاً طويلاً في تلك المدينة وهي عاشت أكثر منه لبقائها بعده مدة طويلة فلا بدّ من فترة زمنية تتخلص فيها من كل هذه التبعات التي عقبتها طيلة الفترة التي مكثتها بعد زوجها وما تحتاج له من تلك الحياة العصرية من مدنية وأجهزة حديثة تتطلبها الحياة، وبعد تصفيتها عادت إلى سليمان ليلتئم الشمل ويجتمع العقد في سلك واحد فقال سليمان لزوجته: لقد أثبت إخلاصك وحبّك لزوجك وتضحيتك بحياتك المستقرة وامتيازك الذي تحصلت عليه في إصدار تلك الصحيفة فأنا أشكرك كل الشكر فقالت له: إنني أطلب منك أن نخطط حياة جديدة وأن تتحصل لي على إجازة لصحيفة أُصدرها في هذه البلاد على أن تضمن لي أن لا تكتب فيها مقالات ثورية تؤدي إلى إغلاقها وبالتالي يعقبها إغلاق حياتنا الزوجية وتبديد شملها وبعثرتها كما تبعثر ريح الخريف أوراق الغصون، فصمت سليمان وهز رأسه وبعد فترة قال لزوجته: سأدرس الموضوع وأوافيكِ وفي الغد جاءها وقال: وافقت على ما اقترحته من شروط لإصدار الصحيفة باسمك فتقدمي واطلبي الإجازة لإصدار هذه الصحيفة فتقدمت زوجته وتحصلت على ترخيص بإصدار صحيفة اجتماعية تعالج المجتمع وهمومه فأسمتها فلق الصباح وظلت تزاول

نشاطها وأخذ سليمان ينشر مقالاته فيها ولكن ليست تلك المقالات البركانية لأنّ حدة الشباب هدأت وباخ بريقها وانطفأ لهبها وظل يعيش في حياة هنيئة راغدة، وهكذا مثال الزوجة التي ضربت المثل في الإخلاص لحياة الزوجية.

يوسف: ظل يرتقب وعاش على وهيج من الترقب وهو في لهفة وشوق وتطلع لما ينحسر عنه الغد من أخبار يأتي بها له عبد التواب الوسيط فوافاه الوسيط عبد التواب، وقال له إنني تعبت في البحث لك عن فتاة تتقارب وسنّك فتمتزج معك روح بروح إلا أنّ أكثرهم يتخوفون من تقتيرك ولتباينهم معك في السن ولا زلت في البحث ولعلي أظفر لك بما يرضيك، ومضى عنه برهة من الزمن فجاء له فقال له: وجدت لك الضالة التي تنشدها وهي فتاة اسمها ـ عاتكة ـ من بيت مؤمن متمسكين بالمبدأ غير منحرفين فتعال معي لتقرر بينهم الصداق وما يتبعه من نثار، فذهب معه واتفق يوسف مع والد العروس فابتنى بها فعاد يوسف في حياة جديدة فأنسته هذه الفتاة كل همومه ومسحت عنه آلامه فعاش معها في رفاهية وهناء.

زيد: قُدِّمَ للمحاكمة وقد أقام التاجر له محامٍ ليتولى قضيته بالنيابة عنه في المرافعة وقدم له قائمة بالأموال التي اختلسها والبضائع التي ابتاعها وقبض أثمانها ولم يضعها في المصارف باسم التاجر عمر فسأله القاضي عن هذه المبالغ وعن البضائع فأنكر أنه أخرج من متجر عمر أي مبلغ إلى الخارج أو أي بضاعة وإنما باعها وصرفها على عائلة التاجر عمر حين كان مسجوناً ولم يغادره في

مبلغ ولم يزوّر عنه أي بضاعة من البضائع فقال: إني أمين وليس على الأمين إلا اليمين فرد عليه المحامي هل ائتمنك موكلي ومن ائتمنك إنما أنت زوّرت كتاباً باسم زوجة موكلي ليفتح لك المتجر المسؤولون الذين أقفلوه وختموه بالشمع الأحمر وتسلط عليه بالتدليس والزيف والحيل الكاذبة فغدرت موكلي وسرقت منه كل شيء فأنت مزور كذاب ولست بأمين حتى تنطبق عليك القاعدة الشرعية، الأمين ليس عليه إلا اليمين ولولا إرادة الله لأفلت من هذا الشبك وخرجت إلى المدينة التي وضعت في مصارفها هذه المبالغ لتتمتع بهذه السرقات وتأكل من هذا السحت الذي سيتحول في بطنك ناراً في الدنيا والآخرة لذلك أطلب من المحكمة أن تصدر عليك حكماً برد المبالغ والبضائع أو أثمانها التي ابتعتها وأنا لا أثق فيك في الأثمان التي ستختلقها من جديد وتموهها خلاف الحقيقة، والموظفون الذين هم معك يعرفون عنك كل حركة وساكنة فعليك أن توضح الحقيقة وترجع الذي ليس لك، فأجّل القاضي هذه الجلسة للتأمل وأعطاهم موعداً آخر وحدد فيه الجلسة فأعيدت الجلسة في اليوم المحدد فسألهم القاضي هل عندكم أقوال جديدة؟ فأجاب ليس عندنا شيء جديد فحكم على زيد برد المبالغ والبضائع وأثمانها الحقيقية إلى التاجر عمر.

* * *

رمزي: اجتمع مع **محمد** في ندوتهما الخاصة التي يتداولان فيها داء المجتمع البشري وما ينجم فيه كل يوم ويجدُ فيه من حوادث وأنباء خطيرة تدمر المجتمع وتفككه حلقاً حلقاً وتبدده كأيدي سبأ.

رمزي: يا **محمد** إني عييت بوضع دواء لهذا المجتمع وأي وصفة أكبر من وصفات القرآن الكريم وتعاليم الخاتمﷺ وآله الذي جاء رحمة للعالمين ولمس الداء بيده الكريمة ووضع الدواء في وصفات تشفي كل داء في سرعة عاجلة وهذب الأخلاق وروَّض النفوس ولكل شيء، من مشاكل هذه الحياة أو أسرارها وضع له أسلوباً ومنهجية أخلاقية فهذا منهجه يغني عن كل شيء، ولكن ويا للأسف إننا لا ندخل إلى هذه الصيدلية فنجرع منها ولو قطرات من تلك الجرعات إنما نمرُّ بها مرور الطائفين من ورائها فلا نهضم ما في هذه الوصفات بوعي واستيعاب، إنما نمرُّ عليها كالقارئ للّفظ فقط لا للمعنى.

فقال له **محمد**: يا رمزي إنك وصلت إلى حلٍّ عظيم ووصفة ما بعدها من وصفة فإذا كانت هذه الوصفات لم تشفنا من دائنا فليس لدائنا من دواء وإنّ الأطباء لتعجز عن علاج هذا الداء ولا دواء إلا بالرجوع إلى هذه المبادئ المثلى الذي جاء بها الخاتم وتطبيقها عملياً فإنها أُس العدالة وبالعدالة يسعد المجتمع :

من ذا يبدلهُ فإنّ قوارعي

يئست لعمر الله عن تبديله

إنّ المريض ليستريح إذا اشتكى

مـمـا بـه لطبـيـبه وخليلـه

شكواي بحتُ بها إليك وليس في

شكـوى الزميـل غضاضةٌ لزميلهِ

هـذه شكواي يا **محمد** أقدمها لك في حرف صارخ ووصفاتي الطبية الناجعة التي وعدتك بها فهل أنت مقتنع بآرائي؟

فأجابه **محمد** الحقيقة أنك في هذه الندوة قد تحدثت فأبلغت ووصفت فأجدت وليس بعد الإسلام وصفة ناجعة كهذه الوصفات وأنا آسف ليس عند الأمم كما عند هذه الأمة من كنوز وذخائر ثمينة هي في هذه التعاليم المنيرة المشرقة التي لو طبقناها لأنارت لنا عتمة الحياة وأكلنا من فوقنا ومن تحتنا ودانت لنا الأمم.

فأدعو الله من صميم قلبي أن نعود لهذه التعاليم ونطبقها فنسعد في الدنيا والآخرة.

الخاتمة

قبل أن أُسدل الستار على هذه القصة أو بالأحرى على فصولها وما جاء فيها من تصوير لأبطالها الذين مروا بأدوارهم أودّ أن أشير إلى هذه القصة من الخيال ولا تعني أشخاصاً بعينها وإنما هي ترمز لحياةٍ عامة لا ترتبط بمكانٍ دون آخر وإنما القصد والهدف من كتابتي هذه القصة لأصوّر فيها دروساً تجسد العبر لمن اعتبر في هذه الحياة المملوءة بالمفارقات وتركتها للنقاد فإنّ صدري مفتوح لمن شاء أن يعبر عن مرئياته ولكن أن يكون نقده هادفاً بنَّاءً، وليس فيه هدف الحسد أو الحقد أو التهديم، فالناقد العربي في الأغلب لا ينبعث نقده عن هدف سامٍ إلا قلة وندرة لذلك أختم هذه القصة بهذا الحديث القصير ليذاع معها.

والله هو المعين،،

والحمد لله على ما مدني وأعطاني،،

٢٢/ ١٤٣٢/٣ هـ

٣/٠٨ / ٢٠١١ م

السّيرة الذاتيّة للمؤلّف

محمَّد سعيد ابن الشَّيخ عَلِيّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيُّ.

تاريخ الميلاد

٢/٢/١٩٢٥م.

العنوان

المملكة العربية السُّعودية

المنطقة الشَّرقية – القطيف

الرمز البريدي ٣١٩١١

ص. ب : ٨٧٩

تلفون ـــ فاكس :٨٥٥١٠١٣

محمد سعيد الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي

موجز السِّيرة الذَّاتيَّة

وُلدتُ فِي اليوم والشَّهر، مِنْ العام الَّذي حُدِّد بالميلادي، فِي الصَّفحة الأُولَى مِنْ هذه السِّيرة.

ودرجتُ على هذا الكوكب، تحت رعاية والدي الشَّيخ / عليّ أبي الحسن الخُنَيزي.. الَّذي كان مَرْجِعاً وقاضياً لجميع المذاهب مِنْ سُنَّةٍ وشيعةٍ.. ويرضون بحكمه.

أُصبتُ فِي السَّادسة مِنْ عمري - تقريباً - بأثمنِ كَنْزٍ فِي حياتي، وهِيَ عيني، الَّتي تعكسُ طبيعة الحياة، ومناظرها الجميلة.

وعندما بلغتُ السَّابعةَ مِنْ عمري، أدخلني أبي الكُتَّاب.. لأنَّ ذلك الظَّرف لا تُوجد فيه مدارسُ على منهجيَّة المدارس الحديثة اليوم.

وكان هذا الكُتَّاب قمَّةَ الكتاتيب، فِي ذلك العصر، ويتعاقب على إدارته أخوان هما: فضيلة الشَّيخ محمد صالح البريكي، صباحًا، وأخوه فضيلة الشَّيخ ميرزا حسين البريكي، مساءً.

وهـذا الكُتَّاب يُعلِّم كتابَ الله، ونمطاً مِنَ الخطِّ، وضربًا مِنْ أنواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضَّرب والقسمة، وهـذا هُوَ بعض دروس الرِّياضيَّات اليوم، كما يُعطي لوناً مِنْ الشِّعْرِ العربي، ويشرح بعض كلماتِه، ويطلب مِنَ الطُّلاب حفْظَ ذلك الشِّعْرِ. وللكُتَّاب أُسلوبٌ، ومنهجيَّةٌ فِيْ دفعِ الأُجورِ، وأيَّام التَّعليم، طيلة الأسبوع؛ والإجازة في يومي الخميس والجمعة؛ ولا تَتَخلَّل الدِّراسة فسحاتٌ يرتاح فيها الطُّلاب، مِنْ جهدِ الدِّراسة.

وقَدْ خرجتُ مِنْ هـذا الكُتَّاب بعد أنِ اجتزت مراحله التَّعليميَّة. وتعليمي كان غيبّياً عَنْ طريق الحِفظ القلبيِّ... لا البصري، خرجت مِنْهُ وأنَا أبلغ الثَّالثةَ عشرة.

وبعد فترةٍ هيَّأني والدي للدِّراسة، لأتَخَصَّصَ فِي العلوم الدِّينيَّة، فَدَرَسْتُ قواعدَ اللُّغة العربيَّة، ومِنْ كُتُبِهَا: متنْ الأُجرومية وشرحه لدحلان، وقطر الندى لابن هشام، وألفيَّة ابن مالك، والمغني لابن هشام، كما قرأتُ بعضَ الكُتُب العقلانيَّة والفلسفيَّة، كالحاشية في المنطق، والشَّمسية في المنطق.

وقرأتُ كُتُبَ البلاغة، كالمطوَّل، ومختصره، وهو يبحث في أسرار البلاغة، ويُوضِح لك سِرَّ البلاغة والنكت الَّتي يحتوي عليها.

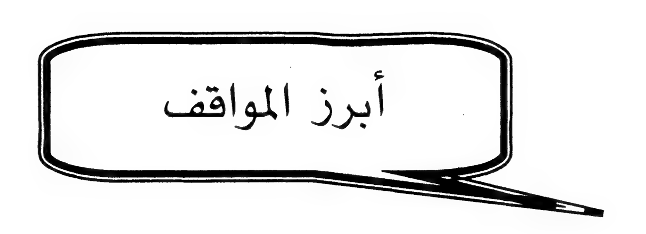
كما قرأتُ شريحةً من كُتُب الفقه، وكتبًا من أصول الفقه وفوجئتُ وأنا في ربيع الدِّراسة، وقبل اليفاعة بموت والدي... فكان لموتِه انحسارٌ، كانحسار الرَّبيع عَنْ الورد، فأصبحت كالحقل، الَّذي جفَّ ماؤه

وبرغم ما عانَيْتَهُ مِنَ الثَّالوث غير المقدَّس الفقر - وإصابتي بالعين - وفَقْدِ أبيْ واصلتُ دراستيَ العلميَّة، وكنت أقتل أوقاتي في الدروس، كما أنني أُدرِّس ثُلَّةً منَ الطُّلاب، سنشير لهم في الصَّفحة المخصَّصة لهم.

وإنَّني إذْ أختصر هذه الأحرف، فقَدْ وضعتُ سيرتي الذاتية في كتابٍ، يتكوَّن من مجلَّدين أسميته: «خيوط من الشَّمس» يحتوي على هذه الحياة البسيطة، وما عانيتُ مِنْ حلوٍ ومرٍّ.

ومررتُ فيه بقنواتٍ تأريخيَّةٍ تمرُّ بحياتي الذَّاتية، أو ما يتَّصل بها مِمَّا له ارتباطٌ من: قريبٍ، أو بعيدٍ بهذه السِّيرة.

أمَّا الوظائف: فلم ألتحق بوظيفةٍ مِنَ الوظائف، إنَّما امْتَهَنْتُ عَمَلاً حراً غيرَ مرتبط بدائرةٍ، أو مؤسَّسةٍ، وهو: المحاماة؛ وهيَ المرافعة فِي القضايا، الَّتي تنظر فيها المحاكم الشَّرعيَّة.



أبرز المواقف

لقَدْ مررتُ في هذه الحياة بمواقف مؤلمة، ومفرحة، ولكن في رأيي أخطر موقف مررت به.. واتخذت فيه قراراً حاسماً، بعد أنْ مرَّت عاصفات من التردد بأفق نفسي، وحيرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكني في النهاية أصدرت قراري النهائي، وتركت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل «المحاماة» مِنْ أجل الكسب على عيالي، لكي لا أعيش عالة على المجتمع.



الأساتذة الَّذين تَلمَّذْتُ عليهم، هم: والدي الإمام الشَّيخ عليّ أبو الحسن الخنيزيُّ، والعلاَّمتان الشَّيخ عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي، والشَّيخ فرج العمران، والعلاَّمة الشَّيخ محمَّد صالح المبارك، والشَّيخ محمَّد صالح البريكيُّ، وهؤلاء العلماء كلُّهم مِنْ أهالي القطيف.

ولكن أُستاذيَ الَّذي أعتبره كالجامعة: مِنَ النُّقطة الأولى، إلى المرحلة العليا، هُوَ: والدي... فهوَ لِي كجامعةٍ مِنَ المعارف.

أبرز التلاميذ

إنَّ التَّلاميذ الَّذين درسوا على يدي كُثُر، لعلَّهم يصلون إلى خمسين طالباً، أو يزيدون... غير أنَّ مِنْ أنجحهم وأبرزهم فضيلة الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ عبد الله الشَّيخ علي الخنيزيُّ، حيث أسهم فِي الحياة الفكريَّة، بثروةٍ ثرة، في كُتُبٍ متعدِّدةِ الألوان... خَدَمَ بها اللُّغة العربيَّة والفكر. والشَّيخ عباس المحروس؛ حيث أصبح خطيباً؛ وعبد الغني أحمد السنان؛ حيث أصبح أحد الشَّخصيَّات البارزة في شركة أرامكو السُّعودية؛ ومحمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، أصبح شخصيَّةً مِنَ الشَّخصيَّات الوطنيَّة بالقطيف؛ ومهنَّا الحاج حسن الشَّماسي...، ومحمَّد رضا نصر الله، حيث أصبح صحفيّاً غير محدود؛ وفؤاد عبد الواحد علي نصر الله، حيث صار صحفيّاً؛ ومحمَّد وحسن ابنا الشَّيخ فرج العمران؛ وجاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسن آل خضر؛ وجمال عبد اللطيف؛ وحسن أحمد الطويل؛ وعلي زكي الخنيزي، وقاسم بن

ملا محمد العيثان، وعلي محمد المحمد علي، ومحمد وحسن ابنا بنيه محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي، ومحمد علي محمد سعيد الشيخ محمد علي الخنيزي، وهناك طلابٌ آخرون، لا تسع هذه الصَّفحة لِذكرِهم.

سيرتي العملية

إنَّ سيرتيَ العمليَّة : كانت تنبثق عَنْ عملٍ حُرٍّ ـ وهيَ المحاماة ـ فإنَّني لَمْ ألتحق بوظيفةٍ في : القطاع الخاص، أو العام، على حدٍّ سواء ؛ إنَّما استعملت معارفيَ العلميَّة، في المحاماة.

وصرتُ لا أقبل مرافعةً في قضيَّةٍ، إلاَّ بعد دِراستها، ومعرفة حُجَجِهَا ووثائقها ؛ فإذا طبقتها ـ حسب معرفتي ـ على القواعد الشَّرعية، وبَانَ لي موافقتُهَا على ذلك... قبلتها، وترافعتُ فيها...

ومِنْ أجلِ ذلك كسبتُ أكثَرَها بفضل الله وتوفيقه.

رؤية ودراسات

لا بُدَّ مِنْ إشارةٍ مقتضبة، لما قام به المفكِّرون والأدباء، مِنْ دِرَاسَاتٍ عميقةٍ، عن أعماليَ الأدبيَّة، وقد أُشير لبعضها، في مقدمة ديوان (مدينةُ الدراري) ـ الدِّراسة الَّتي كَتَبَتْهَا البنت فردوس ـ والدِّراسة الَّتي في مقدمة (كانوا على الدرب)، للدُّكتور حسام سعيد سلمان العبد الهادي الحبيب، وَدِرَاسَاتٍ متفرِّقة، لم يجمع شتاتها، فِي كتيِّبٍ يبقى رصيداً، ومرجعًا، لِمَنْ أرادَ الدِّراسة عن هذه الأعمال.

وهذه الدِّراسات نُشرت على صَفَحَات الصُّحف الدَّاخليَّة والخارجيَّة، وفي كُتُبٍ كثيرةٍ.

كما أُذيعت حلقاتٌ دِراسيَّةٌ من إذاعاتٍ عربيَّةٍ، وغير عربيَّةٍ ؛ ومن راديو المملكة، مِنْ جميع محطَّاتها، ومن راديو لندن في رياض الشِّعْر.

وأكثرها أشير لها في كتاب «خيوطٌ مِنَ الشَّمس» .

كَمَا شاركتُ في عدَّة نَدَوَاتٍ فكريَّةٍ وأدبيَّةٍ؛ أبرزها: مؤتمر الشِّعر في الخليج، الَّذي أُقيم في مدينةٍ الرِّياض، تحت رعاية رئيس رعاية الشَّباب الأمير فيصل بن فهد ـ عام ثمانيةٍ، بعد الأربعمائة والألف هجرياً وآخرها الندوة الَّتي أقامها لِيَ النَّادي الأدبي، بقاعة الجمعية الخيريَّة بالقطيف، في عام ١٤١٩هـ.

الكُتّاب الذين كتبوا عن أعمالي

أريد أن أثبت هنا بعض المفكرين الذين اهتموا وكتبوا عن بعض أعمالي الفكرية وليس على سبيل الحصر وإنما نذكر شريحة منهم وهي كسجل أو فهرست لهذه الأسماء وهي: ـ

اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المطبعة	الطبعة والتاريخ	رقم الصفحة
د / بدوي طبانة	من أعلام الشعر	دار الرفاعي – الرياض	ط١-١٤١٢	٣٢٧
الشيخ عبد الله الخنيزي	نسيم وزوبعة	القاهرة	ط١-١٣٩٧	٢٣١
د / بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة ع.س	دار صادر بيروت	ط١-١٣٩٣	٣٨٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	واحة على ضفاف الخليج	مطبعة الفرزدق الرياض	ط٢-١٤١١	٤٠٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	هذه بلادنا	مطابع جامعة الملك سعود	ط١-١٤١٠	٢٣٠
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	ساحل الذهب الأسود	دار مكتبة الحياة – بيروت	ط٢-١٣٨٢	٢٤٧
الأستاذ / عبد الله عبد الجبار	التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة	جامعة الدول العربية	ط١-١٩٥٩	٢٨٩

الأستاذ / عبد الله أحمد الشباط	أدباء من الخليج العربي	الدار الوطنية ـــ الخبر	ط١-١٤٠٦	٢٧٤
د / عبد الله آل مبارك	الأدب العربي في الجزيرة ق١	مطبعة الجبلاوي القاهرة	ط١-١٩٧٣	٣٦
د / عبد الله الحامد	الشعر المعاصر في المملكة ع.س	دار الكتاب السعودي	ط١-١٤٠٦	٨٢
خليف بن سعد الخليف	الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث	مطبعة سفير ـــ الرياض	ط١-١٤٠٩	٨٩
د / عمر الطيب الساسي	الموجز في تاريخ الأدب السعودي	مطابع سحر ـــ جدة	ط١-١٤٠٦	٢٤٤
عبد العلي آل سيف	القطيف وأضواء على شعرها الحديث	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط١-١٤٠٦	٣٠٠
عبد الرحمن العبيد	الأدب في الخليج العربي	النشاط الثقافي ـ الرياض	ط١-١٣٧٧	٥٨
د /شيخ عبد الهادي فضلي	في جريدة اليوم عدد (٢٥٠)		١٣٨٨	
الأستاذ / الخياط	في البلاد السعودية			
د / شفاء عقيل	دراسة عن الشعر الرومانسي	رسالة ماجستير		
د / علي جواد الطاهر	معجم المطبوعات	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط٢-١٤١٨	١١٥٤،٤٦
د / علي جواد الطاهر	عالم الكتاب	المجلد الثالث العدد الرابع	١٤٠٣	٥١٨،١٩
السيد حسن أبوالرحى	المنهل	المجلد الثاني		٧٥

الشيخ علي الشيخ منصور المرهون	شعراء القطيف	الجزء الثاني		١٥٠
أ / أبو بكر الشمري	الفهرست المفيد في أعلام الخليج	الدار الوطنية ـ الخبر	ط١-١٤١٣	١٥٩
الدائرة للإعلام	معجم الكتّاب والمؤلفين	الدائرة للإعلام المحدودة	ط٢-١٤١٣	٥٢
عبد الله حسن آل عبد المحسن	شعراء القطيف المعاصرون	مطابع الرجاء ـ الخبر	ط١-١٤١٤	٨٥
السيد حسن العوامي	صحيفة اليوم			
السيد محمد الصويغ				
الأستاذة / فردوس الخنيزي	ديوان مدينة الدراري	مطابع الرضا ـ الدمام	ط١-١٤١٤	٩
د / حسام سعيد الحبيب	ديوان كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	ط١-١٤١٦	٩
أ/السيد حسن العوامي	من وحي القلم	دار المحجة بيروت	ط١-١٤٢٣	٤٠
سعود الفرج	شعراء مبدعون	القطيف	ط١-١٤١٧	٣٢٣
فائز المسلم	ذكرى مؤرخ وشاعر	الدمام	ط١-١٤١٨	٢٦٣
خالد سعود الحليبي	الشعر الحديث في الإحساء	مطابع الوفاء الدمام	ط١-١٤٢٤	١١٢-٤٠٨،٤٠٩
أحمد سعيد بن سلم	موسوعة الأدباء والكتّاب	دار المنار القاهرة	ط١-١٤١٢	٣٢٣
خالد أحمد اليوسف	دليل الكتّاب والكاتبات	الجمعية العربية	ط٣-١٤١٥	١٠٨

د/محمد عثمان الملا	الحكمة في شعر بني عبد القيس	الدار الوطنية	ط١-١٤٢٠	٨٥
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	ط١-١٩٩٥	١٨٦
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	ط٢-٢٠٠٢	٦٠٥
سعيد أحمد الناجي	المعجم الخفيف في تراجم أعلام القطيف	مطابع أطياف	ط١-٢٠٠٦	٣١٣
وزارة التعليم العالي	رواد المؤلفين السعوديين	معرض الكتاب	ط١-٢٠٠٦	٣٩،٤٠
الموسوعة	موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث	الرياض	ط١-١٤٢٢	٢٩١،٢٩٢
مكتبة الملك فهد	أخبار المكتبة	الرياض عدد ٣١ رجب	١٤٢٥هـ	٢٢
الشيخ علي ألبلادي	أنوار البدرين ـ مؤسسة الهداية	بيروت ٢٠٠٣م ط١		٣٦٥، ٣٧٤، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٢٩، ٤٣٣.

إضافة إلى ما كتبته الصحافة المحلية والخارجية عن هذه الأعمال الأدبية وأذاعت عنها الإذاعات العربية والغربية. كما قرظ الأدباء أعمالي الأدبية ومن ضمنهم الأستاذ عباس العسكر حينما قرأ ديوان تهاويل عبقر فقال هذين البيتين:

قرأتكَ شعراً يدقُ القلوب

وينطقُ في شعور النغم

وجدتُكَ مثل النسيم الذي

تهادى برفقٍ فهزَ القلمْ

تكريمي عن طريق منتدى حوار الحضارات

برئاسة/الأستاذ فؤاد عبد الواحد علي نصر الله

فهذا المنتدى له نشاط فكري طار صداه فملأ آفاق المملكة ذكراً ومجداً وقد سبق أن احتُفل بي وكُرمت في النادي الأدبي للمنطقة الشرقية بمدينة الدمام، كما أقام لي النادي السابق ذكره أمسية شعرية في مقر جمعية القطيف بمحافظة القطيف وكُرمت على صعيد أفق عالمي مع رواد الفكر والمؤلفين السعوديين وقد قام بهذا التكريم معالي وزير التعليم العالي الدكتور / خالد العنقري وقد اقترن هذا التكريم مع افتتاح معرض الكتاب الدولي بمدينة الرياض برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولم يكن أحد من المنطقة الشرقية سواي وعبد الرحمن العبيد وحين ذاك كان رئيس النادي الأدبي والرواد من المنطقة الوسطى والغربية وبعد تكريمنا قام سمو الأمير / سطام نائب أمير الرياض بتوزيع الهدايا علينا نيابة عن خادم الحرمين الشريفين، كما أصدر كتاباً يتضمن حياتنا باختصار اسمه (الرواد للمؤلفين السعوديين).

وقد شاركت مشاركة فكرية أدبية بدعوى رسمية بناء على طلب سمو الأمير / فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب، بخطاب

رقم ٧٢٦٤ وتاريخ ١٤٠٨/٤/٢٩هـ بقصيدة شعرية والتي ألقيتها بنفسي وقد أسميتها في ظلال عكاظ في مهرجان الشعر العربي لدول الخليج في جلسة الافتتاح الذي أقيم بقاعة الملك فيصل للاحتفالات بمدينة الرياض بتاريخ ١٤٠٨/٦/١٥هـ وهو أول مهرجان فكري يقام من نوعه في الخليج، وكان لها الصدى العميق في الأوساط الفكرية والأدبية واستعيدت أبياتها عدة مرات.

الإذاعات التي أذاعت عن أعمالي الفكرية والأدبية :

كما أذاعت شعري الإذاعات العالمية كإذاعة لندن، وإيران وغيرها من الإذاعات العربية كإذاعات القاهرة والكويت والبحرين كما احتفلت بها جميع محطاتنا الإذاعية بالمملكة العربية السعودية. كما نشرت آثاراً في أمهات الصحف الكبرى كمجلة الأديب، المعارف والألواح اللبنانية ومجلة الكتاب للأستاذ عادل الغضبان في القاهرة والهاتف والغري العراقيتين والرائد والعربي الكويتيتين ومجلة صوت البحرين وغيرها من المجلات والصحف العربية وفي أكثر صحف المملكة العربية السعودية.

وقد كَتب عن إصدارات كتبي وأشعاري مفكرون ودكاترة كُثر أشرتُ لبعضهم في السيرة الذاتية، وشريحة من مفكري القطيف أما تكريمي في وطني القطيف فهذا أول تكريم لي يسبق به الوالد العزيز الأستاذ / فؤاد نصر الله وكان له السبق والشكر وقد نجح هذا التكريم فكان له صدى في أوساط الآفاق الفكرية على صعيد المملكة وكان التكريم ليلة الجمعة في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة

واحد وثلاثون بعد الأربعمائة والألف الموافق: ثلاثون من الشهر التاسع (أيلول) سنة ألفين وعشرة، وقد تسابق وتبارى في منتدى التكريم المفكرون والأدباء والشعراء فكان الذي يدير حفل التكريم الأستاذ/ محمد بن ميرزا الغانم فأبدع وأجاد في إدارته وفي أسلوبه الأدبي الرفيع.

ومن الشعراء الذين اشتركوا في هذا المهرجان الأساتذة :

مصطفى أبو الرز، علي مهنا، وأحمد أبو السعود، وفريد النمر، محمد مهدي الحمادي.

ومن الكتّاب الأساتذة :

خليل آل فزيع، سعود الفرج، محمد الشماسي، عدنان العوامي، احمد الشمر، والأستاذ / فؤاد نصر الله رئيس منتدى حوار الحضارات والأستاذ/ عباس الشماسي رئيس جمعية محافظة القطيف، سعيد احمد بن ناجي أبو السعود والكاتب في جريدة اليوم الأستاذ عبد الله بن أحمد شباط.

وختام الحفل ختمته بكلمات فيها شكر لصاحب المنتدى الفكري وللمفكرين والشعراء والأدباء وإلى كل من شارك في الحفل وحييتهم بقصيدة منبعثة من قلبي تحية وشكراً لأصحاب البيان والفكر والتي أسميتها مهرجان البيان.

وكان لهذا التكريم أصداء فكرية وأدبية انعكست على المسموع والمقروء والمرئي فغطت الصحف هذا الموسم التكريمي كصحيفة

اليوم والوطن والحياة وصحيفة والوسط البحرانية في العدد ٢٩٥٥ وغيرها من الصحف المحلية والخليجية، والشبكة العنكبوتية وعلى صعيد ألوان مواقعها المختلفة وفي طليعتهم منتدى حوار الحضارات، راصد وشبكة التوافق وغيرها من المواقع الإلكترونية كما اشترك التلفاز السعودي فزارني في بيتي وأجرى معي حواراً عن التكريم وعن حياتي الأدبية والفكرية. وفي يوم الاثنين ١٤٣١/١٠/٢٥هـ الموافق يوم الرابع من شهر أكتوبر عام عشرة بعد الألفين وأُذيعت هذه المقابلة مساء الأربعاء في السابع والعشرين من الشهر المشار إليه والعام المذكور الموافق ٦ أكتوبر من العام المشار إليه وأعيدت الحلقة في مساء ليلة الخميس الساعة الثانية وعشر دقائق وقد بقيت أعمالٌ فكرية وأدبية لم تلق حيث لم يتسع لها الوقت لأن المواد السابقة غطت الوقت فأعتذر لمن لم يلق عَمله.

الأعمال العلمية والأدبية

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
النغم الجريح	دار مكتبة الحياة - بيروت	١٣٨١- ١٩٦١	شعر
شيء اسمه الحب	مكتبة الأنجلو المصرية	١٣٩٦- ١٩٧٦	شعر
شمس بلا أفق	الدار العالمية - بيروت	١٤٠٦- ١٩٨٦	شعر
مدينة الدراري	مطابع الرضا – الدمام – السعودية	١٤١٤- ١٩٩٣	شعر
كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤١٦- ١٩٩٥	شعر
خيوط من الشمس " قصة وتاريخ "	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٠-٢٠٠٠	مجلدان نثر
الشعر ودوره في الحياة	مؤسسة البلاغ - بيروت		مجلدان نثر

الشعر ودوره في الحياة : أُنجز منه مجلدان: المجلد الأوّل (في جزءين) يحتوي على العصر الجاهلي وعصر النور «الإسلام» والأموي والعباسي، وفترة الفكر الانتكاسية، والجزء الثّاني يحتوي على دراسة حياة بعض الشعراء للأقطار العربية.

المجلد الثاني (في جزءين) الثالث خاص بشعراء المملكة الرومانسيين والجزء الرابع خاص بثلة من شعراء القطيف الكلاسيكيين .

تهاويل عبقر	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٢ - ٢٠٠٢ م	شعر
العبقري المغمور	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٤ - ٢٠٠٣	نثر
أضواء من النقد في الأدب العربي	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٥ - ٢٠٠٤	نثر
أشباحٌ في الظلام	دار المحجة البيضاء	١٤٢٦هـ	نثر
أوراق متناثرة	دار المحجة البيضاء	ط١- ١٤٢٨هـ	شعر
ذكرى أبو نسيم	الخبر	ط٨-١٤٢٨هـ/٢٠٠٧	نثر
المعري الشاك	دار المحجة	ط١- ١٤٢٨ هـ	نثر
أبو نواس	مخطوط	ط١- ١٤٣٠هـ	نثر
أيام من الماضي	مخطوط		نثر
من ذاكرة التاريخ	مخطوط		نثر
إيحاءات سماوية	مخطوط		شعر
أطياف وراء السديم	مخطوط		شعر
تأملات	هو ذا		نثر
ومضات وراء الغيوم	مخطوط		نثر
أيام في لندن	مخطوط		نثر
الشريف الرضي	مخطوط		نثر
أحداث تاريخية			نثر

مواقع

أهم المراجع

١ - تفسير القرآن :

الميزان (العلامة الطباطبائي)

- مجمع البيان (العلامة الطبرسي)
- الكشاف (الزمخشري)

٢ - مراجع حديث المنزلة :

- صحيح البخاري
- صحيح مسلم (الإمام النووي)
- فتح الباري (ابن حجر العسقلاني)
- عمدة القارئ (العابدي)
- تاريخ دمشق (ابن عساكر)
- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: **محمد بن طلحة الشافعي**

- المستطاب في شرح تجديد الاعتقاد (العلامة الحلي)
- الفصول المهمة (ابن الصباغ المالكي)
- شرح نهج البلاغة (الشيخ محمد عبده)
- المستدرك الحاكم
- ينابيع المودة القندوزي

الفهرس

هذه القصة لها بواعث وتصوّر واقعنا البشري، فواقعنا البشري لا يختص بجيل دون جيل، أو قرن دون قرن، أو بقارة دون أخرى، فإنّ أحداث هذه البشريَة وويلاتها وما يتضبب في سمائها من نعيم أو شقاء أو من بسمة أو دمعة، كلّ هذه المفارقات تنتظم في هذا الكوكب الذي نعيش عليه المسمى بالأرض، فهذه القصة لا تعالج قارة دون أخرى، أو شريحة من البشر دون أخرى، إنما هي تشير للمجتمع البشري ككل دون تفريق فلا تطبق على حياة بشر دون آخر أو قارة دون أخرى، وتعالج هذه المشاكل التي تنجم في حياة البشر منذ فجر الإنسان الأول آدم أبي البشر الذي خلقه الله وأنزله على هذا الكوكب، فقصة قابيل وهابيل منذ فجر الحياة لا تزال ترعف بدمها ومنها تفجر كل شرّ على هذه البسيطة.

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ١٤ / ٥٤٧٩ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com